# الإعجاز القرآنى
## فى تأكيد حق الحياة البشرية

بدر محمود الدمهوجى
مدرس بالأزهر الشريف

فاز الكتاب بجائزة الأزهر فى
« مسابقة الإعجاز القرآنى »
لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

# إهـــــداء

أتشرف بإهداء هذا البحث لفضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى – رحمه الله – الذى لا تُوفَّى له الكلمات ببعض حقه لأنه صانع الصحوة الإيمانية لملايين المسلمين.. داعياً الله الكريم أن يتغمده بفسيح جناته وأن يجمعه بحبيبه ورسوله محمد ﷺ يا رب العالمين.

كما أهديه لفضيلة الدكتور كيلانى محمد المهدى – حفظه الله – الأستاذ بكلية الشريعة والقانون والذى لم أر أستاذاً يشجع تلاميذه مثله.

كما أهديه لأبى حفظه الله ولأمى رحمها الله رحمة واسعة يا رب العالمين.

**المؤلف**

**بدر محمود الدمهوجى**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقـــــديم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى. أحمده تعالى كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلى وأسلم وأبارك على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، رحمة الله للعالمين سيدنا محمد.

**وبعـــــد...**

فهذا بحث يتحدث عن حق الحياة البشرية، وحمايتها وحرمة المساس بها والاعتداء عليها كما أكده القرآن الكريم المنزَّل من لدُن حكيم عليم، وقد اخترت هذا الموضوع لأنه موضوع الساعة فى زمان هان فيه الإنسان على أخيه الإنسان. فنجد المسلم يُقتَل على يد اليهود القساة فى فلسطين بلا شفقة وعلى يد الروس فى الشيشان بلا رحمة وعلى يد الصرب بكل قسوة، والأسوأ من ذلك قتل المسلم المجاهد على يد المسلم المجاهد فى أفغانستان ثم على يد الأمريكان، والمسلم على يد المسلم فى الجزائر، بل والمدنيين من الأطفال والنساء هنا وهناك وغير ذلك الكثير فى ربوع العالم المعاصر. هذا إلى جانب الإقتتال بدواعى العصبية القبلية لاسيما فى صعيد مصر. كما نسمع عن أب يقتل أبناءه وعن ابن يقتل أباه أو أمه وغير ذلك مما يستوجب معرفة حكم الله عز وجل فلقد أولى الإسلام الإنسان بكل متعلقاته من دين ونفس وعقل ومال وعرض، عناية فائقة حيث جعله مقصد التشريع الذى أنزله الله تعالى على قلب رسوله الكريم ﷺ ثم اختص من بين هذه المتعلقات النفس وجعلها حمىً يجب ان يصان وحرمة ينبغى الا تمس. ذلك ان الإنسان هو خليفة الله فى أرضه، وحامل لواء إعمارها على

منهجه سبحانه وتعالى، وهو العابد عن حب والعارف عن اقتناع فهو خلاصة هذا الوجود وغايته وهو بنيان الله المتضمن لبديع آياته وأسرار حكمته فى الخلق والتكوين وهو الذى نال من تكريمات الله ما لم ينله مخلوق آخر. حيث خلقه على هذه الهيئة بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له وأسكنه الجنة ثم سخر له الكون بكل ما فيه من نعم وآلاء يخدمه ويُغدق عليه مما يوضح أن الإسلام دين وحضارة يُقدر دور الإنسان فى الأرض.

والاستخلاف الذى هو غاية الوجود يتطلب حياة واستبقاء حياة. فلا تأتى أيها الإنسان لخليفة مثلك لتنهى حياته بغير حق، ولا تأتى لمن كرمه الله فتهينه لأن ذلك يمثل اعتداءً صارخاً على إرادة الله وحكمته.

وقد ضمنت هذا البحث أربعة فصول كل فصل يحتوى على عدة مباحث تخدم موضوع الفصل.

**فالفصل الأول** عن حق الحياة البشرية الذى ينبع من مكانة الإنسان فى الوجود. وغاية خلقه التى أوجده الله لإمضائها فى كونه.

**والفصل الثانى** عن أول جريمة على سطح الأرض ودوافعها وعلاج الإسلام لها وضماناته للوقاية من تكرارها.

**والفصل الثالث** عن القتل. معناه، واختلافه عن الموت وأنواعه، وتجريم الإسلام له فى الكتاب والسنة ومصادر اكتساب العصمة وأسباب زوالها وتجريم الإسلام للإعتداء على غير المسلمين بغير الحق.

**والفصل الرابع** جعلته للقصاص الذى جعله الحق سبحانه وتعالى عقوبة رادعة تضرب بيدٍ من حديد كل من تسول له نفسه الاعتداء على خليفة الله فى أرضه ليضمن بقاء الحياة واستمرارها.

وقد اعتمدت فى هذا البحث على كثير من المصادر والمراجع حيث توخيت

الرجوع إلى المصادر الأصلية للتأكد من صحة الروايات والأحاديث كما أننى استفدت كثيراً من المراجع الحديثة التى توفر لى الاطلاع عليها سواء أكان ذلك بموافقتها لما ذهبت إليه أو بعدم موافقتها. لأن كثرة الرؤى والتحليلات تؤدى من غير شك إلى اتساع الآفاق أمام الباحث لمعرفة الحق وإنكار الباطل. والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ونافعاً للمسلمين علي مر الأيام والسنين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾.

**وعلى الله قصد السبيل**

**بدر محمود الدمهوجى**
**سمادون أشمون منوفية**

# الفصل الأول

## حق الحياة البشرية

### وينقسم إلى مباحث :

**المبحث الأول :** تفرد المهمة وأحقية الحياة
**المبحث الثانى :** الإنسان خليفة الله فى أرضه
**المبحث الثالث :** الإفساد فى الأرض وسفك الدماء
**المبحث الرابع :** غاية الشيطان هلاك الإنسان
**المبحث الخامس :** عمارة الأرض واستبقاء الحياة
**المبحث السادس :** نعم الله تسبق وجود الإنسان
**المبحث السابع :** عندما تتصادم المصالح
**المبحث الثامن :** مقومات الحياة البشرية وقدرات البشر

* * *

# حق الحياة البشرية

● **تفرد المهمة وأحقية الحياة :-**

لا ريب ان حق الإنسان فى الحياة ينبع فى الإسلام من مكانته فى هذا الوجود الذى خلقه الله وأعده وسخره لاستقبال هذا المخلوق الفريد الذى أناط به أسمى مهمة أوكلت بمخلوق فى هذا الوجود سواء على مستوى الملائكة أو كل الأجناس الأدنى من جماد ونبات وحيوان . آلا وهى مهمة العبادة بصفة الحب لا بصفة الخلق وقدرة القهر.

فإذا كان الكون كله يعبد الله ويسبحه مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً** ﴾ [الإسراء : ٤٤] وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ** ﴾ [الحج : ١٨] إلا أنها عبادة تنبع من صفة الخلق التى أوجد الله تعالى هذه الكائنات عليها فلا يستطيعون منها فكاكاً أولها تغييراً فهى تثبت لله تعالى صفة القهر والهيمنة . لاسيما وان هذه الكائنات هى التى اختارت لنفسها هذه الصفة من العبادة والطاعة مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . ولهذا أصبحت تلك الكائنات مقهورة على طاعة الله لانها رفضت وأبت ان يكون لها اختيار نوعية معتقداتها وسلوكياتها فهى لذلك منضبطة على منهج الله وإرادته لا تغير ولا تبدل فالشمس لا تستطيع ان تقول سأشرق اليوم أو لن أشرق ، ولا تستطيع أن تتقدم أو تتأخر عن مواقيتها التى قدرها الله لها وكذلك القمر وكل المخلوقات فى هذا

الوجود ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [ يس : ٣٨ - ٤٠ ] .

ومثل الكون فى ذلك مثل الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومنهم الساجد إلى يوم القيامة والراكع إلى يوم القيامة والقائم إلى يوم القيامة وكل ذلك بصفة الخلق والقهر لا الإختيار .

● **نوع آخر من العبادة :**

.. والله تعالى يريد خلقاً يأتيه عن حب واقتناع لا عن قهر كباقى الكائنات يريد خلقاً قادراً على أن يعصى ولكنه يأتى طائعاً باختياره .. فيقول يا رب جعلت لى شهوة عاجلة .. ولكن حبى لك أكبر وأقوى من كل متع الدنيا . ولهذا تركت هذا كله وجئتك وأنا قادر على ألا أجىء .. جئتك عن حب واختيار لأن اقتناعى باستحقاقك للعبادة أقوى وأكبر من الدنيا وما فيها، وهذا ما يريده الله تعالى من عباده . وإلا لما خلقهم مختارين وقادرين على الطاعة وعلى المعصية ولذلك يقول الله لرسوله ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [ الشعراء ٣ ، ٤ ] (١) .

فالله تعالى أراد أن يخلق كائناً مستقلاً فى إرادته واختياراته كأكمل ما يكون الاستقلال ليأتيه ويعبده عن اختيار ليثبت لذاته تعالى صفة المحبوبية والعظمة بعد أن أثبت لنفسه تعالى صفة القهر والهيمنة، ولذلك نجد أن الإنسان قد اشتمل على كل أضداد الحياة من إيمان وكفر وإقبال على الله وابتعاد عنه، وحب له وبغض واعتراف بنعمه وإنكار لها . بل نجد من بين البشر مَن أنكر وجود

---

( ١ ) وانظر تفسير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الآية ﴿ إياك نعبد ﴾ .

الله واعترف بالصدفة والعبثية فى إيجاد وتدبير كل هذا الكون العريض الفسيح، ومنهم من ادعى الألوهية فقال لمن حوله: ما علمت لكم من إله غيرى، وادعى الربوبية فقال: أنا ربكم الأعلى ومنهم من أشرك بالله ونسب له الولد وادعى عليه الفقر والبخل ونسب إليه ما استحال فى حقه من صفات، وعلى النقيض من ذلك نجد فى البشر من أفنى وجوده ووجود كل شيء فى وجود الله فاعترف بانه الموجود الحق ولا موجود بحق إلا لله فترك إختياره لاختيار الله وأسلم زمام حركته فى الحياة له سبحانه فأطاعه فى أوامره وإنزجر عن نواهيه وذكره وسبحه مع كونه المسبح فاستقام واستقامت له حياته على منهج الله، وكل ذلك تابع من الصفة التى خلق الله عليها الإنسان وهى صفة الاختيار والقدرة على الطاعة والمعصية.

وقد عبر رسول الله ﷺ عن حرية الاختيار التى منحها الله للإنسان بذلك الحديث الذى رواه البخارى فى أول كتاب الاستئذان أن رسول الله ﷺ قال «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً» وفى رواية «أن اللهَ خلَق آدم على صورة الرحمن» (١) قال ابن حجر: والمراد بالصورة والصفة والمعنى أن الله تعالى خلقه على صفته تعالى من العلم والحياة والسمع والبصر والإرادة وإن كانت صفات الله لايشبهها شيء، وهذا إن دل على شيء فيدل على أن الله تعالى أراد أن يخلق كائناً بإرادة مستقلة تمام الاستقلال ليأتيه عن اقتناع نابع من استلهام عظمته وكمال صفاته من بديع صنعه، وهى المهمة التى لا يشارك الإنسان فيها غيره من المخلوقات مما يعمق قيمة حياته ومهمته فى هذا الوجود.

● **الإنسان خليفة الله فى أرضه:**

فإذا تأملنا حديث الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز مع الملائكة بشأن خلق الإنسان واستخلافه فى الأرض لأدركنا بعمق قيمة هذا المخلوق ولأدركنا كذلك الضمانات التى وضعها الحق تبارك وتعالى لاستبقاء حياته واستمرار وجوده فى هذا الكون.

---

(١) رواه البخارى وقال الإمام أحمد هو حديث صحيح.

ويبدأ هذا الحديث بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٣].

فبعد أن أخبر الله تعالى أنه خلق جميع هذا الكون أراد أن يخبرنا عمن خلقه لعمارة هذا الكون وسخره له، وكأنه تعالى يلفت النظر إلى المشيئة العليا التى تريد أن تسلم هذا الكائن الجديد فى الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق فى الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب، وكشف ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله بإذن الله فى المهمة الضخمة التى أوكلها الله إليه وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ووهب من القوى الخفية ما يحقق على يديه المشيئة الإلهية، وذلك كى لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة وهى منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان فى نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذى شاءه الله خالقه الكريم له.

وهذا ما تم بقدر كبير فى الأرض على يد هذا الكائن المستخلف فى هذا الملك العريض ولهذا جاء للملائكة القرار من العليم الحكيم والخبير بمصائر الأمور ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ وكأنه تعالى يلفت نظرهم إلى أن مهمة هذا المخلوق فى إطار العبادة والتسبيح والتحميد ستسبق مهمتهم فيها (١). حتى

(١) الظلال جـ١.

يقول مصطفى الله من الملائكة لمصطفى الله من البشر... تقدم أنت فإذا تقدمت أنت اخترقت وإذا تقدمت أنا احترقت ولكل منا مقام معلوم وذلك لأنهم سيحققون نوعاً من العبادة لا يشاركهم فيه غيرهم وهو عبادة الله بصفة الحب والاختيار مع القدرة على المعصية ومع وجود الشهوة الصارفة والشيطان المحرض.

● **الإفساد في الأرض وسفك الدماء:**

وقول الملائكة «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» ارتقاء في عظم الذنب فالإفساد في الأرض لا يرتقي في خطره إلى سفك الدماء لأن الإفساد في الأرض على خطره هو مساس بالمستخلف فيه أما سفك الدماء فهو مساس واعتداء علي المستخلف نفسه الذي سخر الله له الكون بكل ما فيه من نعم وآلاء، وأناط به أشرف المهام في هذا الوجود وهي العبادة ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [ الذاريات: ٥٦ ].

وأيضاً لأن سفك الدماء يمثل إزهاقاً لتلك الروح التي نفخها الله تعالى منه في ذلك المخلوق ليحيا ويحقق مبدأ الخلافة وهو أيضا اعتداء على حق المولى تبارك وتعالى في الإحياء والإماته. كان القاتل يأتي لمن أعطاه الله العمر والحياة ليهدم فيه إرادة الله بقتله ولهذا يقول الرسول ﷺ «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» [١] وفي رواية النسائي «قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا».

والإفساد في الأرض وسفك الدماء هما الذنبين اللذين استنكرتهما الملائكة من قبل على الجن الذين خلقهم الله قبل الإنسان لعبادته ففعلوا ذلك كما قال عبد الله بن عمر وابن عباس : كانت الجن قبل آدم بألفي عام فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة فطردوهم إلى جزر البحور» [٢].

---

(١) رواه مسلم. (٢) ابن كثير – قصص الأنبياء.

ولهذا قالوا: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك «أى إن كان المراد من الخلق لهؤلاء ان يعبدوك ويقدسوك فها نحن لا نفتر ليلاً ولا نهاراً، فرد عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾» أى أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون.. أى سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون. ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. «قال مجاهد هي اسماء كل دابة وكل شيء فقال الله للملائكة ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم تكريماً له وتعظيماً لشانه ان خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] ليتم تشريف الله لهذا المخلوق أربع تشريفات وهى ان خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها ثم أمر الملائكة بالسجود له.

وعلى كل حال كان صدور أمر الله للملائكة بالسجود لآدم بسبب صنعه إياه بيده أى أن الإنسان كان المظهر التام للقدرة والصنعة الإلهية وفى داخله روح خاصة نفخها الله فيه بنفسه ووضع فيه الصفات التى تتصف بها ذات البارىء تعالى ولكن على نطاق محدود بالنسبة للصفات اللامحدودة والتى تفوق الكمال فهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وسجود الملائكة لادم جاء بمثابة الإعتراف منهم والإذعان لعلم الله وقدرته وإرادته فى استخلاف الإنسان فى الأرض. لاسيما وأنه قد قبل حمل الأمانة التى رفضت السموات والأرض والجبال حملها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [ الأحزاب: ٧٢].

ولفظ الأمانة يوضح مفهوم الخلافة ومعناها، وكلا اللفظين يلقى الضوء على وضع الإنسان الصحيح بالنسبة لنظام الكون فهو حاكم الأرض ومسخرها ولكن حكمه لها ليس فى ذاته وأصله بل هو حكم مفوض إليه من قبل الله ومن ثم عبر

الله عن سلطاته المفوضة إلى الإنسان بلفظ الأمانة، وعلى هذا سمى الله من يستخدم هذا السلطات المفوضة إليه من جانبه تعالى « خليفة ».

**• غاية الشيطان هلاك الإنسان :**

وفى لحظة تكريم الإنسان والإعلام بقدره تظهر عداوة الشيطان الذى سبقه فى عمارة الأرض وعبادة الله ولكنه فشل فى مهمته وأفسد فى الأرض وسفك الدماء مصنداقاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ [الكهف : ٥٠] . فهو من الجن الذين خلقهم الله لعبادته قبل الإنسان فأفسدوا وسفكوا الدماء فأرسل الله إليهم الملائكة لينفوهم إلى جزر البحور ويُؤخذ إبليس أسيراً إلى السماء (١). فيحسده ويأبى أن يسجد له مع الساجدين ويسأله الله تعالى : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٢ - ١٧] . وبالفعل استطاع الشيطان أن يغوى آدم ويغريه بالأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ليهبطه الله إلى الأرض لتبدأ خلافته فيها كما أراد له الله ولتبدأ الحياة البشرية على الأرض، وقصة ذلك الصراع الأبدى بين الخير والشر، وبين الإنسان والشيطان ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ**

---

(١) ابن كثير - قصص الأنبياء.

لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف : ٢٠- ٢٤].

**● مدخل الشيطان إلى النفس البشرية :**

وقد لخص الله تعالى فى بلاغة رائعة مدخل الشيطان إلى النفس البشرية حين أورد لنا كيف أغرى الشيطان آدم بمعصية الله حيث تم الإغواء بجملة واحدة حيث قال له : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؛ إذن الإنسان يريد شيئين فى الدنيا . حياة خالدة لا تنتهى ومالاً وفيراً لا يفنى ولا يتأثر بكل ما ينفقه الإنسان مع عدم تأثر عمره بمرور السنوات فهو يريد شباباً دائماً وكنوزاً لا تعد ولا تحصى ومن هنا كان مدخل الشيطان للنفس البشرية . فكل الآلهة الباطلة التى عبدها الإنسان على مر العصور واختلاف الأمكنة كانت إما وهماً دافعة لأذى أو مرض يؤدى إلى الهلاك أو وهماً جالبة للرزق والجاه فى الدنيا . وهى فى مجموعها لا تخرج عن ذلك أبداً . بل إن عبادة الناس للبشر تأتى أيضاً من خلال هذين المدخلين فهو إما أن يرجو رزقاً يستمتع به أو صحة وقدرة تطيل فى عمره [(١)].

وهكذا فقد أنزل الله الإنسان والشيطان إلى الأرض وجعل لهما فيها مستقراً ومتاعاً إلى حين، ومنذ تلك اللحظة بدأ الشيطان فى مكره وكيده للإنسان ليتسبب فى طرده من رحمة الله كما تسبب فى طرده منها سالفاً . ولشدة مكره وكيده بهم نجد الملائكة يستغفرون للذين آمنوا منهم ويدعون لهم بالمغفرة والرحمة ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧].

---

(١) تفسير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

ولا ريب أن هدف الشيطان الأسمى هو هلاك ذلك الإنسان إما بالكفر وإما بالكبائر من المعاصى والذنوب وإما بالموت فهو يوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتتلوا فيكونوا بذلك قد هلكوا بابتعادهم عن طاعة الله ورضوانه، وبهلاك أعداد كبيرة منهم، وكلا الأمرين هدف الشيطان وغايته ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١]. فهو يورد الإنسان الموارد التى يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التى فيها عطبه وهلاكه ثم يتخلى عنه بعد ذلك ويشمت به ويضحك منه ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨].

### ● عمارة الأرض واستبقاء الحياة :

الله تعالى يريد أن تستمر حياة الإنسان فى الأرض ليتحقق مبدأ الخلافة، بإعماره لها على منهج الله، وقد شرح الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود : ٦١]. حيث جعل سبحانه وتعالى الإنسان خليفة له فى أرضه ليعمرها على منهجه، وعمارة الكون تنشأ بالتفكير في الارتقاء بالصالح فى الكون وعدم الإفساد.، فالصالح فى الكون نتركه صالحاً فإن استطعنا أن نزيد فى صلاحه فلنفعل.. فالأرض تنبت الزرع وإذا لم يزرعها الإنسان فهو يجد زرعاً خارجاً منها، والحق يريد من الإنسان أن ينمى فى الأرض هذه الخاصية فيأتى بالبذور ويحرث الأرض ويزرعها. وهكذا يزيد الإنسان الأمر الصالح فى الكون صلاحاً وهذا كله فرع وجود الحياة.

إذن عمارة الإنسان للأرض تتطلب حياة واستبقاء حياة للخليفة ولا معنى لخلافة الإنسان فى الأرض مع إهمال حياته وعدم رعايتها، وما دام استبقاء الحياة أمراً ضرورياً وحتمياً فلا تأتى أيها الخليفة لخليفة آخر مثلك لتنهى حياته فتعطل

بذلك إعماره للأرض وإحياءه لها فالإنسان مخلوق مكرم من قبل المولى عز وجل فلا تأتى أنت لتهينه أو تعتدى على أخص خصوصياته وهى الحياة، وبهذا نجد أن تكريم الإنسان واحترام حياته نابع من هدف وجوده وغاية خلقه فى هذا الكون.

● **تكريم الله للإنسان : –**

وقد خص الله الإنسان من بين سائر المخلوقات بهذه المهمة وبهذا التكريم الذى عبر عنه بقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء : ٧٠]، وهى آية تلخص ما منحه الله لهذا المخلوق الفريد من مكرمات تسهل عليه مهمته فى هذا الوجود. حيث كرمه على كثير من خلقه بخلقته على تلك الهيئة لقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين : ٤] وقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [الإنفطار : ٦ ، ٧] (١).

كما كرمه بهذه الفطرة التى تجمع بين الطين والنفخة فتجمع بين الأرض والسماء فى ذلك الكيان المتفرد، وكرمه بالاستعدادات التى أودعها فطرته والتى استأهل بها الخلافة فى الأرض يغير فيها ويبدل وينتج فيها ويطور ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة، وكرمه بتسخير القوى الكونية له فى الأرض وإمداده بعون القوى الكونية فى الكواكب والأفلاك، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذى استقبله فيه الوجود، وبذلك الموكب الذى تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان وكرمه بإعلان هذا التكريم فى كتابه المنزل من الملأ الأعلى، والباقى إلى يوم القيامة « القرآن ». ثم يقول تعالى : ﴿ **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ وقد

---

(١) وانظر الظلال.

استدل بهذه الآية على أفضيلة جنس البشر على جنس الملائكة. قال زيد بن أسلم «قالت الملائكة يا ربنا إنك اعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا ذلك فى الآخرة. فقال الله تعالى: « وعزتى وجلالى لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان، وروى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال: إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة. قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان » (١).

● **نعم الله على الإنسان تسبق وجوده :**

وبعد أن خلق الله الإنسان على هذه الهيئة الزاخرة بالطاقات لإعمار الأرض على منهجه وتحقيق العبادة المرجوة، وبعد أن ظهرت العداوة بين الشيطان والإنسان يُهبط الله تعالى الإنسان إلى الأرض ليبدأ خلافته فيها ولكن بعد أن مهدها له وملأها بالنعم. فنحن إذا نظرنا إلى ترتيب الأشياء فى الكون نجد أن نعم الله على الإنسان تسبق وجوده. فالله تعالى خلق السموات والأرض وقدر فيها أقواتها وبارك فيها وعندما نزل الإنسان إليها كانت كل النعم موجودة. بل إن آدم عليه السلام أبا البشر كلهم عندما خلقه الله سبقته الجنة التى عاش فيها لا يتعب ولا يشقى ووجد بها كل شىء متوفراً لحياته ليبدأ الحياة.

وحينما عاش الإنسان على الأرض وجد أشياء تخضع له وتعطيه نعماً بغير قدرة منه وبغير دخولها فى علمه ولا فى قدرته. فلا هو يستطيع أن يُقدم لنفسه هذه النعم ولا هو قادر على أن يدخلها فى قدرته ويسيطر عليها. فالإنسان خُلق فوجد الكون معدا ومسخراً له. الشمس تدفئه وتعطيه الضوء والأرض تطعمه وتعطيه الثمر والمطر ينزل عليه ليسقيه، والهواء موجود فى كل مكان ليتنفسه بسهولة، والليل والنهار حتى يستطيع أن ينام ويستريح ويعمل ويُنتج. كل هذه

(١) رواه الطبرانى وانظر تفسير ابن كثير والظلال.

النعم وغيرها الملايين التى لا تحصى ولا تعد خُلق الإنسان ليجدها فى الكون وكلها عطاءات ربوبية أى للمؤمن والكافر ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت: ٩– ١٢].

ولهذا عندما يستعرض الحق تبارك وتعالى نعمه على خلقه ليسهل حياتهم يقول: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ وقد جاءت هذه الآية فى القرآن مرتين، مرة جاء فى عقبها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] وفى الثانية ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فسياق الآية الأولى تجليات الرحمة وسياق الآية الثانية جبروت الإنسان العاصى الذى يستغل نعم الله فى معصيته ولذلك قال الحق: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وكما سبق يستحيل حصر أوعد نعم الله التى أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة لأنها تشتمل على حياة الإنسان بكل ذرة من ذراتها وهى كذلك تملأ جنبات الكون المسخر له من الله.

● **الكون يلائم قدرات الإنسان :**

هذا وقد خلق الله الكون وسخره للإنسان على صورة تحفظ حياته وتسهل عليه تحقيق الغاية التى أوجده الله لإمضائها فى كونه ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦– ١٨].

فإن كتلة العالم الطبيعية وفق المنظور الإسلامى قد خلقت للإنسان وسخرت له تسخيراً، وقد حقق الله تعالى أبعادها وقوانينها وأحجامها بما يتلاءم وقدرات الإنسان، والمهمة الأساسية لخلافته فى الأرض، وقدرته على التعامل العمرانى مع الطبيعة تعاملاً إيجابياً فاعلاً، ولنتصور كيف يكون الحال على مستوى القدرة على التحضر لو كانت الشمس والقمر على سبيل المثال أقرب قليلاً أو أبعد قليلاً عن موقعهما المرسوم، وإذا كانت الجاذبية أخف قليلاً أو أثقل قليلاً عن شدها المحسوب، ولو كانت مكونات الغلاف الغازى غير ما هى عليه من دقة مُعجزة فى النسب المحددة، ولو كانت مياه البحار والمحيطات خالية من الأملاح والأجواء راكدة الرياح، ومحور الأرض عمودياً وشكلها غير بيضاوى . . . إلى آخره .

وكان إرادة الله قد شاءت أن تخلق الكون بهذه الدقة المعجزة لكى يُحقق الإنسان المدى الأقصى الذى يحقق خلافته فى الأرض. ولم يشأ الله تعالى فى نفس الوقت أن يمهد له العالم تمهيداً، ويكشف له عن قوانينه وأسراره بالكلية لأن هذا نقيض لعملية الإستخلاف والإبداع التى تتطلب مقاومة وتحدياً ودأباً وإبداعاً، ولأنه يقود الإنسان إلى السلبية المطلقة والكسل التام. كما أن الله تعالى لم يشأ من جهة أخرى أن يجعل العالم على درجة من التعقيد والصعوبة والإنغلاق والغموض يعجز معها الإنسان عن الاستجابة والإبداع. الأمر الذى يتنافى أيضاً ومهمته الحضارية التي أنيطت به كخليفة لله في الأرض جاء لإعمار عالم غير مقفل ولا مسدود ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى ٢٧ – ٣٠] (١).

---

(١) وانظر عماد الدين خليل – حول إعادة تشكيل العقل المسلم.

● **عندما تتصادم المصالح :**

ولا شك أن هذه النعم وهذا الإعداد الذى اشتمل جنبات الكون كان فى حد ذاته اختباراً وابتلاءً للإنسان حينما تتشابك مصالحه مع مصالح غيره من بنى البشر. فكيف سيتعامل حينما تتضارب مصالحه مع مصالح غيره؟ وكيف سيتعامل عندما يشعر بالغنى والقدرة على التحكم فى مقدرات غيره؟ أجل.. فهل سيطغى ويتجبر ويتعامل وفقاً لقانون الغاب الذى يبيح لمعتنقه أن يفعل كل ما يستطيع عمله دون قيد من دين أو خلق حتى يقول القائل:

ومن لم يزدعن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يَظلم الناس يُظلم؟

أم أنه سيتعامل وفق مبادىء الدين والعقل والأخلاق والذى يقضى على الإنسان بأن يفعل ما يحق له عمله، وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به. فإن أراد من الناس الاحترام فعليه أن يقدمه أولاً، وإن أراد من الناس أن يحافظوا على ماله فلا تمتد إليه أيديهم وعلى عرضه فلا تتطاول عليه ألسنتهم ولا تمتد إليه أبصارهم. فعليه أولاً أن يحافظ على أموال الناس وأعراضهم، وإن أحب من الناس أن يحافظوا على رَوحه وحياته فلا يبسطوا إليها أيديهم بالاعتداء فعليه أيضاً أن يحافظ على حياتهم وأرواحهم . فالدين والأخلاق إن كانا يقيدان حرية الفرد عن الاعتداء على المجتمع فإنهما كذلك يقيدان حرية المجتمع عن الاعتداء على حقوق الفرد، والفرد فى هذه الحالة هو الرابح. لأن الدين حمى المجتمع منه وهو فرد واحد ولكنه حماه من المجتمع كله ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ولهذا يأتى رجل إلى رسول الله ﷺ ويقول له: يا رسول الله إنى أعاهدك على الإسلام ولكنى رجلٌ أحب الزنا فأبحه لى. فيهم سيدنا عمر رضى الله عنه أن يبطش بذلك الرجل الذى تفوه بقول ما كان له أن يتفوه به فى بيت الله وبين يدى رسول الله. فيقول له رسول الله ﷺ على رسلك يا بن الخطاب. ثم يبدأ فى

معالجة ذلك الرجل بأسلوب الطبيب الماهر الحاذق الذى يعرف كيف يتعامل مع النفوس وملكاتها لاسيما وأنه الرسول الرحمة . فيقول للرجل وقد أدناه منه حتى مس فخذه فخذ النبى ﷺ : يا أخا العرب هل تحب أن يُفعل هذا بأمك؟ قال الرجل: لا . فكرر عليه النبى ﷺ : هل تحب أن يُفعل هذا بأختك؟ فقال الرجل: لا . فأعاد عليه الثالثة: هل تحب أن يُفعل هذا بزوجتك فقال الرجل وقد أخذته حدة الغيرة: لا . لا . لا . فرد عليه الرسول ﷺ بقوله: وكلنا هكذا يا أخا العرب . لا نحب أن يفعل هذا بأمهاتنا أو أخواتنا أو زوجاتنا . فقام الرجل من بين يدى رسول الله ﷺ وهو يقول: فقمت من بين يدى رسول الله ﷺ وليس شيئاً أبغض إلى نفسى من الزنا، وذلك لأن الرسول دعاه إلى الخير والفضيلة بدراية كاملة بملكات نفسه التى لا تقبل السوء لأهل بيتها بأى حال من الأحوال .

كما وضح له أن الدين وهو يقيد حريته عن أعراض الناس وحرماتهم يقيد فى نفس الوقت حريات جميع أفراد المجتمع نحو عرضه وحرماته لأنه إن تركه يعبث ويعيث انحلالاً وانحرافاً فى أعراض الناس وحرماتهم فلسوف يترك الجميع يعبثون ويعيثون فى ذات اللحظة فى عرضة وحرماته حتى يتحقق مبدأ العدل بين الجميع، وهو ما لا يرضاه، ولهذا يقول: فقمت من بين يدى رسول الله وليس شيئاً أبغض إلى نفسى من الزنا .

إلا أن صفة العدل ومعاملة الناس بالفضل هذه لا تظهر بوضوح إلا عندما يملك الإنسان شئون غيره ويتحكم فى مصائرهم . فهل هذا الملك وهذا التحكم سينسياه دينه وعدله فى معاملة الناس أم لا؟ ولهذا يصف الحق سبحانه وتعالى المؤمنين عند تحكمهم بقوله ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [الحج: ٤١] (١) .

---

(١) وانظر تفسير الشعراوى عليه رحمات الله .

• **الخضوع للمنعم:**

وكذلك يربى الحق الإنسان المؤمن على احترام الكون بكل أجناسه، وتقدير النعم لأن ذلك مظهراً من مظاهر معرفة المنعم وتقدير عطائه وأحرى بمن يحترم النعم ويعرف المنعم أن يعدل مع إخوانه من البشر فلا يعتدى على حقوقهم، ولا يتجبر عليهم، ولا يتكبر فى كون الله بغير حق. فالله تعالى سخر له الزمان والمكان وكل أجناس المخلوقات فى الكون. فالحيوان مسخر له وكذلك النبات والجماد، ولهذا يريد الله تعالى أن يُعلم الإنسان أنه هو المنعم والمسخر الأعلى، ويريد منه أن يعترف بذلك ويُقدره فيطامن غروره تواضعاً لله جل شأنه ولمخلوقاته التى سخرها له.

فنجد أن الله تعالى قد أحل الزمان كله للإنسان يفعل فيه ما يشاء من أعمال الصيد والحرب ولكنه يُحرم عليه فيه أربعة أشهر – وهى الأشهر الحرم – ليرده لمن أباح له كل الزمان. كما سخر له المكان كله يفعل فيه ما يشاء من صيد وقتال ثم يحرم عليه بقعة منه وهو المسجد الحرام ليعوده على الإنضباط طاعة لأمر مولاه الذى أنعم عليه بكل المكان، وسيَّده على الجمادات يستخدمها ويحركها كيف يشاء فيبنى بها ويهدم. ثم طلب منه أن يُقبل الحجر الأسود ليطامن ما قد يعتريه من زهو وكبرياء فى كون الله، وكأنه يعلن خضوعه لمن أخضع له هذا الكون وسخره له. فها نحن نرى هذا السيد فى الكون لا يقبل الله منه النُسك القبول التام الحسن إلا إذا قبل الحجر الأسود أو حياه من بعيد، وهكذا ينقل الحق أعلى الأجناس إلى أدناها حتى نجد الناس تزدحم حول ذلك الحجر لتحيته، ومن لم يقبله يشعر أنه أفتقد شيعاً كثيراً، وهكذا نرى استطراقاً وسلوكاً من الخلق إلى باب الله.

فالإنسان المكرم الذى يظن أنه سيد على غيره يأتى إليه أمر فى الحج بتقبيل الحجر أو تحيته بالسلام، وهو أدنى الأجناس المسخرة له، وهذا نوع من الكسر لغرور الإنسان.

وحتى لا يظن ظان أنها وثنية أو حجرية يأتى الأمر من الحق برجم حجر آخر فى نفس النسك، إذن الحجرية ليس لها أى ملحظ هنا. فنحن نجد حجراً يقدس وحجراً آخر يرجم. نجد حجراً يقبله الإنسان ويحرص على تحيته وحجراً آخر يزدريه ويحقره، وذلك يدل على رضوخ لإرادة الله وحده لأنه هو خالق الجميع، ومسخر كل المخلوقات فى الكون لخدمة الإنسان. فكان لزاماً على ذلكم الإنسان أن يمتثل لعظمة ذلك الخالق العظيم بالسمع والطاعة فى كل أوامره، وذلك هو منتهى اليقين، ولهذا نجد سيدنا عمر بن الخطاب ينفى عن تقبيل الحجر الأسود شبهة الوثنية ويعلن أنها فقط تعظيم لأمر الله سبحانه وتعالى فيقول موجهاً كلامه لهذا الحجر المقدس: والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك[1].

ولا ريب أن تعود الإنسان على احترام وتقدير الأجناس الأدنى منه والمسخرة له يجعله أكثر تقديراً لإخوانه فى الإنسانية، وأعمق احتراماً لهم ومحافظة على حقوقهم وهذا هو ما يريده الله تعالى، ويجب أن يسود ويهيمن على معاملات البشر.

ولكن ذلك لا يمنع أن يوجد بين البشر من لا يرضى إلا الظلم والعدوان فيأبى إلا الكبر والاختيال فى كون الله بغير حق، والاعتداء على حقوق خلقه، والتحكم فى مقومات حياتهم، ولذلك يحتفظ الحق تبارك وتعالى بالتحكم فى أهم تلك المقومات وأكثرها خطراً فى حياة البشر ولا يدعها نهباً لأولئك المعتدين المتطاولين على الخلق محافظة منه تعالى على حياة البشر واستبقاءً لحياتهم.

- **مقومات الحياة البشرية وقدرات البشر:**

ونحن إذا نظرنا إلى مقومات الحياة على الأرض نجدها منحصرة فى ثلاثة أشياء هى الهواء والماء والطعام وهى اللوازم الثلاثة لحياة الإنسان على الأرض، وقدرة الإنسان على احتمال افتقادها تتفاوت. فالإنسان بطبيعة خلقه لا يستطيع العيش بدون الهواء أكثر من دقيقة أو بضع دقائق على الأكثر ولهذا أخرج الهواء

---

(١) انظر تفسير الشيخ محمد متولى الشعراوى لمناسك الحج.

من قدرة البشر، وشاء أن يكون هذا العنصر الخطير فى حياة البشر مباحا للناس جميعاً، ولا يستطيع أحدهم أن يُسيطر عليه أو يمنعه عنهم فيهلكهم. بل أخضعه لعدله وأتاحة للغنى والفقير والعظيم والحقير، والذى لا يملك من أسباب الدنيا شيء لذلك نجد البشر جميعاً يتنفسون بنفس السهولة دون أى عناء بل إن الهواء يصلهم إلى حيث هم وأينما كانوا بكل يسر وسهولة وهذا هو عدل الله ولا دخل للبشر فيه محافظة على حياتهم وأهم مقوماتها وهو الهواء.

ونأتى بعد ذلك إلى الماء وهو ما يستطيع الإنسان أن يعيش بدونه يوماً أو عدة أيام. فنجد أن القدرة على اختزانه قليلة والقدرة على منعه على البشر محدودة وإن كانت لها إمكانيات أكثر من الهواء. وهنا يتدخل ظلم الإنسان ولكن بقدر محدود جداً نظراً لأهمية الماء بالنسبة للحياة البشرية. ثم نأتى بعد ذلك إلى الطعام فنجد أن قدرة الإنسان على اختزانه ومنعه أكبر ولكن احتمال الإنسان لعدم تناوله أكثر من قدرته على تحمل افتقاد الهواء والماء لاسيما وأن الكمية التى يحتاج لها الجسم البشرى من الطعام تعد قليلة نسبياً فهى كما وصفها رسول الله ﷺ لقيمات يقمن صلبه.

وهذه هى مقومات الحياة الثلاثة.. شيء لا يستغنى عنه الإنسان ولا يستطيع الحياة بدونه أبداً وهو الهواء نافذ فيه عدل الله ليحصل كل إنسان على حاجته منه دون عناء، وشيء يستطيع أن يستغنى عنه الإنسان يوماً أو يومين أو ثلاثة وهو الماء وهو متوافر للناس أيضاً، وشيء ثالث وهو الطعام تحكم فيه البشر أكثر ولكن احتمال الإنسان للعيش بدونه أكبر وهنا نرى عدالة الحق في توزيع مقومات الحياة على خلقه لضمان استمرار حياتهم ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٠](١).

---

(١) وأنظر معجزة القرآن – محمد متولى الشعراوى جـ١.

## ● القيمة تنبع من الغاية :

وهكذا نجد أن قيمة الإنسان فى ذلك الوجود عظيمة عظم الغاية التى خلقه الله لإمضائها فى هذا الوجود وهى عبادة الله على صورة لا يشاركه فيها مخلوق آخر وهى العبادة بصفة الحب والاختيار. كما نجد أن الاعتداء على هذا المخلوق الفريد هو فى حد ذاته اعتداءً على إرادة الله التى أوجدته وأوكلت إليه خلافة الله فى أرضه لإعمارها على منهجه. فهو اعتداء يفوق فى خطره وعظم جرمه الإفساد فى الأرض لأنه اعتداء على غاية الوجود كله وخلاصته.

كما أن الاعتداء على الإنسان كما سنرى هو اعتداء على آية كبرى من آيات الله فى خلقه حيث ضمنها من الأسرار والعطاءات ما قد يقترب أو يتساوى مع عظيم صنع الله فى الكون كله.

وتحسب أنك جُرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

كما نلمس بوضوح مكانة ذلك المخلوق الفريد فى عالم بنى على الحق.

فالحق فى منهج الله أصيل فى بناء ذلك الوجود، وليس فلتة عابرة ولامصادفة غير مقصودة. فالله تعالى هو الحق ومن وجوده تعالى يستمد كل موجود وجوده ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾ [لقمان : ٣٠].

وقد خلق الله ذلك الكون بالحق لا يلتبس بخلقه الباطل ﴿ **مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [يونس : ٥] ومن ثم فلابد للحق أن يظهر ولابد للباطل أن يزهق ومهما تكن الظواهر غير هذا فإن مصيرها نحو تكشف صريح ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الانبياء : ١٨]، والخير والصلاح والإحسان أصيلة فى هذا الكون كالحق وباقية بقاءه فى الأرض ﴿ **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ**

وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧].

ولهذا فلاصلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمانينة لهذا الإنسان، ولا استقامة لأموره ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله لتستقيم له الحياة كما استقامت لباقى المخلوقات.

# القتل أول جريمة فى الأرض

## وينقسم إلى مباحث:

**المبحث الأول :** هبوط الإنسان إلى الأرض

**المبحث الثانى :** أول الجرائم فى الأرض

**المبحث الثالث :** ما يؤخذ من قتل قابيل لهابيل

**المبحث الرابع :** مفتاح الشرور وأسباب الاعتداء

**المبحث الخامس :** الإسلام يهذب الغضب ويأمر بالرفق، ويؤكد الحقوق البشرية مع المسلمين وغير المسلمين.

# القتل أول جريمة فى الأرض

● **هبوط الإنسان إلى الأرض :**

بعد هبوط آدم إلى الأرض تبدأ الحياة البشرية بما فيها من خير وشر وإصلاح وإفساد . لتبدأ بذلك قصة ذلك الصراع بين الحق والباطل، وبين الإنسان والشيطان، والتى تمثل بدورها الخلافة البشرية لله فى الأرض، ولم يكن لبنى آدم أن يتفرقوا فى الأرض أو أن يذهبوا فيها كل مذهب لأن ذلك يشتت طاقتهم فى إعمار الأرض . بل كان عليهم أن يجتمعوا ويتناسلوا ليقيموا أول مجتمع بشرى فى ذلك الوجود، وفى هذا يقول ابن خلدون : الإجتماع البشرى ضرورى ويعبر عنه الحكماء بقولهم « الإنسان مدنى بطبعه » أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية فى اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه : أن الله تعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله . إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من هذا الغذاء، ولو فرضنا أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة حيث لا يأتى إلا بالزراعة والحصاد ثم الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الأعمال لا يتم إلا بمواعين وآلات لا تتم هى الأخرى إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى . هذا إلى جانب ما يحتاجه الزرع والحصد من صناعات يستحيل أن تفى بها أو ببعضها قدرة الواحد فلابد من إجتماع العدد الكبير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم . فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانه بأبناء جنسه » (١) .

● **أول الجرائم فى الأرض :**

ولكن ذلك الاجتماع البشرى فى بداية الخلق أدى مع ما أدى إليه من ظهور فضائل التعاون على البر والتقوى إلى ظهور نوع من الانحرافات والتصادمات بين

---

(١) ابن خلدون – المقدمة .

البشر كنتيجة طبعية لتشابك المصالح وتصادم الأهواء بينهم حيث يريد كل واحد منهم أن يستأثر بأفضل النعم المتاحة فى وجودهم.

وكان أول تلك المصادمات بين البشر هى تلك الجريمة النكراء التى ارتكبها قابيل فى حق الحياة والأحياء والتي أزهق فيها حياة أخيه هابيل والتي ذكرها الحق تبارك وتعالي بقوله: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾

[المائدة: ٢٧ - ٣١]

فذكر ابن عباس وناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وأخت قابيل أحسن وأجمل فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه فأمره آدم أن يزوجه إياه فأبى إلا أن يستأثر بها لنفسه. فأمرهما أن يقربا قربانا. فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرعه. فتقبل الله من هابيل فغضب قابيل وقال لأقتلنك حتى لا تتزوج أختى. فقال له هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين. «قال ابن عباس وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يد، ولذلك قال له: لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين» فضربه بصخرة فقتله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل» (١).

(١) متفق عليه وانظر تفاسير ابن كثير والقرطبى والطبرى.

ويعبر الحق عن قتل قابيل لأخيه بقوله « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين » وهو تعبير يدل على بشاعة جرمه فى حق نفسه وحق أخيه وحق البشرية جميعاً . بل وحق الحياة والأحياء . كما يدل على ماجُبلت عليه نفسه من طمع وجشع وعدوان حتى استحق الخزي والخسران جزاء ما اقترف من جرم فاصبح من النادمين الحائرين ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ** ﴾ [ المائدة : ٣١ ] .

اى لما قتله احتار فى أمره وعجز عن التصرف حتى بعث الله غرابين فتقاتلا حتى قتل احدهما صاحبه فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم القاه ودفنه وواراه بالتراب ، فلما رآه قابيل يصنع ذلك قال : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى . ثم فعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه ، واصبح من النادمين .

● **ما يؤخذ من القصة :**

ولبشاعة هذه الجريمة يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ [ المائدة : ٣٢ ] ، وقد صور القرآن قاتل النفس كأنه قتل الناس جميعاً لأن فى هذه الجريمة إهدار لحق الإنسان فى الحياة والوجود واعتداء على حق الخالق المحيى المميت ، ولذلك فإن الذين يشتركون فى قتل نفس واحدة يتحملون جميعاً إثمها مهما كان عددهم ولا أبلغ مما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو أن أهل السماء والأرض أشتركوا فى دم مؤمن لكبهم الله عز وجل فى النار » (١) .

وهكذا تقدم تلك القصة نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان الصارخ الذى لا

---

( ١ ) الترمذى وقال : حسن غريب .

مبرر له. كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة والطيبة والوداعة، وتوقفهما وجهاً لوجه كل منهما يتصرف وفق طبيعته. كما ترسم صورة الجريمة المنكرة التى يرتكبها الشر والعدوان والتى تثير الضمير وتثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل لتكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء، وتخوفه وتردعه عن الإقدام على الجريمة فإذا ارتكبها على الرغم من ذلك وجد الجزاء العادل والمكافىء للفعلة المنكرة. كما تصون النموذج الطيب وتحفظ دمه فهو يجب أن يعيش وأن يصان فى ظل شريعة عادلة.

ومن أجل الاعتداء على أرواح المسالمين الوادعين، ومن أجل أن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور فى النفس من أجل ذلك جعل الله تعالى لقتل لنفس بشرية واحدة.. كبيرة.. كبيرة تعدل قتل الناس جميعاً. كما جعل العمل على دفع القتل عنها واستحياء نفس واحدة بإنقاذها من الهلاك عملاً عظيماً يعدل إنقاذ الناس جميعاً، وكتب ذلك على بنى إسرائيل فيما شرعه لهم من الشريعة.

ثم قرن الله تعالى القتل بالفساد فى الأرض وجعل كلاً منهما مبرراً للقتل واستثناء من صيانة حق الحياة، ذلك أن أمن الجماعة المسلمة وصيانة النظام العام الذى تستمتع فى ظله الجماعة بالأمان وتزاول نشاطها الخير فى طمأنينة. ذلك كله ضرورى كأمن الأفراد بل أشد ضرورة لأن أمن الأفراد لا يتحقق إلا به. فضلاً عن صيانة هذا النموذج الفاضل من المجتمعات وإحاطته بكل ضمانات الاستقرار كيما يزاول نشاطه الخير وكيما يزاول الأفراد فيه نشاطهم الصالح لترتقى الحياة البشرية وتثمر وتتفتح فيها براعم الخير والفضيلة والإنتاج والنماء.

والذى يهدد أمنه بعد ذلك هو عنصر خبيث يجب استئصاله ما لم يثب إلى الرشد والصواب ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٣] (١).

---

(١) أنظر: فى ظلال القرآن.

(م ٣ – الإعجاز)

● **مفتاح الشرور وأسباب الإعتداء :**

وتوقفنا هذه القصة مع بداية التاريخ البشرى كذلك على مفتاح الشرور وأسباب الاعتداء بين البشر والتى تكاد تتلخص فى عنصرين هما الشهوة والغضب، فالشهوة مزينة بأنواعها للنفس البشرية. والإنسان نهم بطبعه نحو الاستزادة منها مصداقاً لقول المولى عز وجل: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: ١٤].

كما تشتمل هذه الشهوات والأهواء على غرائز حب السيطرة والتملك والاستعلاء مما يجعل الإنسان قريباً من الظلم لو لم يلتزم بطريقة العدل والصواب لاسيما وأنه مجبول فى فطرته على الغضب الدافع لأى إيذاء يقترب من حماه والذى قد يستخدمه فى غير موضعه لتحقيق الإشباع لشهواته والإرضاء لغروره، وقد وضح ابن الجوزى هذه الحقيقة بقوله: أعلم أن الآدمى لما خُلق رُكب فيه الهوي والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه ويديم حياته، ووضع فيه الغضب ليدفع عن نفسه ما يؤذيه. ثم أعطاه العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب أى بالإعتدال فى الشهوة والغضب فلا يأخذ ما لا يحق له، ولا يعتدى على أحد.

ثم خُلق الشيطان محرضاً له على الاسراف فى الشهوة والغضب وفى اجتلابه واجتنابه لتمتد يده إلى حقوق غيره بالنهب والاعتداء. ثم يقول ابن الجوزى موضحاً ما يجب على الإنسان فى تلك الحالة: فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وبذل جهده ونفسه فى إفساد أحوال بنى آدم، وقد أمر تعالى بالحذر منه فقال سبحانه: ﴿ **وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾. كما قال جل شانه: ﴿ **وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن**

يُضلَّهُمْ ضَلالاً بَعيداً ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ . وفى القرآن من ذلك كثير.

فمتى سول للإنسان أمراً أو شهوة فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين يأمر إياه بالسوء : إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه . ثم كيف أثق بنصيحة عدو . فانصرف فما فيَّ لقولك منفذ . . فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحس على هواها . فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس (١).

**الإسلام يُهذب الغضب ويأمر بالرفق :**

ولهذا فقد عمل الإسلام فى سبيل قضائه على كل ألوان الشرور والاعتداءات فى الكون إلى تهذيب غرائز الإنسان وإلجام شهواته، وهدهدة غضبه وانفعالاته . كما عمل فى نفس الوقت على تأكيد معانى الاحترام والتقدير لكل ما يتعلق بالإنسان من حقوق والتزامات، ولأن الغضب هو أعون صفات الإنسان للشيطان فقد ناله من هذا التهذيب وتلك التربية القسط لأوفى، فنجد الرسول ﷺ دائماً ما ينوه وينبه عن خطره فيقول : «إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش بينهم» (٢) ويأتى إليه رجل ويقول له : يا رسول الله أوصنى . فيقول له : لا تغضب . فردد مراراً والرسول ﷺ يقول له : لا تغضب» (٣)، وفى رواية «قال رجل يا رسول الله أوصنى قال لا تغضب . قال ففكرت حين قال رسول الله ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله» (٤).

كما يقول الرسول ﷺ منفراً من هذا الخلق اللعين «أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب» كما سأله ابن عمر رضى الله عنهما : ما يباعدنى من غضب

---

(١) ابن الجوزى – تلبيس إبليس. (٢ ، ٣) البخارى.
(٤) أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح.

الله عز وجل. قال: لا تغضب» (١)، وروى ابن الجوزى أن الشيطان جاء إلى موسى عليه السلام وقال له: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربك ليتوب عليَّ. فدعا موسى ربه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك. فلقى موسى إبليس فقال له: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك.. فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتا. ثم قال: يا موسى إن لك حقاً عليَّ بما شفعت لي عند ربك. فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن: أذكرني حين تغضب فأنا وحيٌّ في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتى ابن آدم حيث يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وماله حتى يفر، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها.

كما أجاب من سأله أى أخلاق ابن آدم أعون لك قال: الحدة – وهى ما يعترى الإنسان من الغضب – إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة. ولهذا يقول الحق فى كتابه العزيز ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]. كما أوصى نبيه ﷺ بقوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ولهذا نجد أن صحابة رسول الله قد استقاموا على هذا المعنى الأخلاقى الذى أمرهم الله به وعودهم الرسول عليه فيروى أن رجلاً شتم أبا ذر رضى الله عنه فقال له أبو ذر: يا هذا لا تغرق ودع للصلح موضعاً فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه وما ذلك إلا لأن العفو رفعه لأمر صاحبه وقدرة فى إحسان. كما روى أن المسيح عليه السلام مر بقوم فقالوا له شراً فقال لهم خيراً. فقيل له: إنهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً؟ فقال: كل منا ينفق من بضاعته» والآثار فى ذلك كثيرة لا تحصى.

---

(١) رواه أحمد.

وحتى إذا كان الغضب فى سبيل الله يجب على المسلم أن يعفو فى كل ما يحتمل العفو وذلك بأمر الله ورسوله. فقد حدث أن قال أبو بكر الصديق لفنحاص وكان من أحبار اليهود: ويحك يافنحاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع لنا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً ما أعطانا الرب [١].

فغضب من ذلك الصديق وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال له: والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبيكم لضربت رأسك يا عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا محمد انظر ما فعل بى صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله لقد لقد قال قولاً عظيماً. فقد زعم أن الله فقير وهم أغنياء. فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص، وقال ما قلت ذلك. فنزل قول الحق تبارك وتعالى ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [ آل عمران: ١٨١ ].

ثم أنزل الله فى أبى بكر وما ناله من الغضب والحدة في سبيله. وما يجب عليه فى مثل هذا الموقف ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾
[آل عمران: ١٨٦]

● **تأكيد معانى الرفق والرحمة:**

وفى مقابل نهى الحق تبارك وتعالى عن الغضب والحدة فى غير الحق لأنهما

---

( ١ ) بدر محمود الدمهوجي – بين الصديق والفاروق.

يمثلان رأس كل خطيئة، وسبب كل بلية وعدوان نجده تعالى يؤكد معاني الرفق والرحمة فى الأمر كله فيقول لرسوله ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ثم يصف أمته بقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩]، وذلك لأن أخوة الإسلام تجمعهم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] كما يدعو الرسول ﷺ إلى الرحمة فيقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (١)، كما جعل قسوة القلب دليلاً على الشقاء فقال « لا تُنزع الرحمة إلا من شقى » (٢) كما قال : « من لا يرحم لا يرحم » (٣).

وفى مقابل ذلك جعل الرفق سبباً لحب الله عز وجل فقال : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » (٤) وفى رواية لمسلم « إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »، وقد امتدت الرحمة وخيم الرفق فى الإسلام على كل أخلاقيات وسلوكيات المسلمين فلا نجد أمراً من أمورهم أو سلوكاً من سلوكياتهم إلا ونجد هذين الخلقين يزينانه ويجملانه.

**مع الخادم :**

فمع الرقيق نجد أن رسول الله ﷺ يعلمنا أن نكرمهم ونحسن معاملتهم فيقول « هم إخوانكم وخَوَلكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه »(٥)، ولكن لا يفرض الإسلام على السيد أن يطعم خادمه مما يأكل بل الواجب الكفاية بالمعروف وهو محمول على التفضيل ولهذا نجد

---

(١، ٢) أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح.
(٣، ٤) الشيخان
(٥) متفق عليه.

عبد الله بن عمر يقول لخادم عنده: هل أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال فانطلق فاعطهم فإن رسول الله ﷺ قال «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته» (١). وهذا ما يتضح من معاملة الرسول الله ﷺ والصحابة والسلف مع الرقيق والخدم.

● **ومع الحيوان:**

كما يعلمنا رسول الله ﷺ الرحمة والرفق بالحيوان وهو الجنس الأدنى من الإنسان، ولا أدل على ذلك من قوله «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار. لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (٢) كما قال ﷺ «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش. فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج. فإذا كلب يلهث ويأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب. فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله. وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر» (٣)، فالحديث الأول ينهى عن تعذيب خلق الله، والثاني يحث على الرحمة بخلق الله المسخرة للإنسان فما بالنا بالإنسان نفسه الذي كرمه الله وسخر له كل هذا الكون بكل ما يحتويه من نعم وآلاء.

● **وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة:**

ثم يرتقي رسول الله ﷺ بالمشاعر الإيمانية إلى قمة وذؤابة المشاعر الإنسانية فيقول «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا اقتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» (٤). يا الله. ويا

---

(١) مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه
(٤) رواه الخمسة إلا البخاري

رحمة رسول الله، وآدابه . . وليرح ذبيحته، ومتى؟ وهو مقدم على ذبحها، وليحد شفرته حتى يجهز عليها فى لحظة، ويخلصها من العذاب والآلام التى ستلم بها لحظة الذبح .

إنه مرتقى للمشاعر الإنسانية والإيمانية يبلغ القمة التى ليس وراءها شيء إلا ذلك النور الأعظم الذى ينير الكون كله وينفذ إلى قلوب الكائنات . . إنها الرحمة التى لا تقف عند البشر ولا يحكمها انحياز الإنسان لنفسه، واعتداده بجنسه، وإنما تتعداها إلى المجال الواسع الفسيح الذي يشمل كل الأحياء فى الكون . ثم لا تقف عند هذا المدى وإنما ترتقى دجة أخرى . لأن الرحمة بالأحياء درجة مفهومة . . مفهوم أن تقول لى : لا تقتل هذه الفراشة الطائرة الرشيقة . فإنك لن تستفيد شيئاً من قتلها، وهى فى رشاقتها جمال يحسن أن تُمتع به نفسك وروحك وكذلك الزهور والطيور . . ولكنها درجة وراء هذا المفهوم . درجة أعلى وأشف . أن تقول لى : هذه الذبيحة التى ستذبحها والتى لن تكون حية بعد لحظات . . أحسن ذبحتها، ولا تطل آلامها ولا تمتها موتات . . « وليرح ذبيحته » إنها كلمة تهز الوجدان كلما تمثلها . لأن الحرص على إراحة الذبيحة وهى تذبح، وهى تساق إلى العدم، إلى حيث لا توجد ولا تشعر لا قيمة له فى الظاهر، وفى الباطن كل شيء .

إن الذبيحة ميتة ميتة . أرحتها أم لم ترحها، وهى متالمة متألمة . سواء قطر قلبك رحمة بها أم كنت تذبحها مجرد القلب من المشاعر، وهى لن تلقاك بعد اليوم فتشكو إليك عنفك معها . . إذن فالقيمة العملية للذبيحة لا شيء، ولكن القيمة العملية لك أنت كل شيء . . فهى تثبت لك قلب إنسان، « وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة » والمسلم المخاطب بهذا القول لا يقتل إلا بالحق، ولا شبهة إذن فى أن الشخص الذى يقتله المسلم مستحق للقتل لأنه مرتد أو قاتل أو زانٍ محصن أو مفسد فى الأرض، ولا شبهة فى أن هذا القتل يتم بأمر الله » ومع ذلك فالرسول ﷺ يأمر بإحسان القتل، ونعود إلى قصة الذبيحة فنجدها تنطبق مرة أخرى على القتيل . الذى لن يستفيد شيئاً من أن تحسن قتلته فهو مفارق الدنيا، والألم واقع

به ما له عنه محيص. فما القيمة العملية إذن من إحسان القتل بالنسبة للقتيل؟.
لا شيء بطبيعة الحال ولكن القيمة الكبرى - مرة أخرى - هى لك أنت وهى أن يكون لك قلب إنسان. لأنها تثبت لك الرحمة والرفق والإحساس.

والإحسان الذى يعنيه الحديث هو الآداء الحسن والآداء الجميل الذى يستوجب تهذيب الوسائل وتنظيف الآداء (١).

● **حرمة الحقوق البشرية :**

ومع النهى عن الغضب والحدة، والترغيب فى الرحمة والرفق نجد أن الله تعالى يرغب المؤمنين به بالمحافظة الكاملة علي حقوق الإنسان مهما قلت أو صغرت وكان الإنسان وحقوقه حرمة وحمى لا يجب المساس بها أو الإقتراب منها، ولا ريب أن فى ذلك سدا لذريعة القتل، ومسالك الشيطان إليه. لأن المحافظة على الحقوق الدقيقة وغير المعتبرة للغير تؤدى بالتالى إلى تعظيم خطر الحقوق والحرمات الأكبر. مما يرتفع بالسلوك البشرى إلى القمة السامقة من العدل والفضيلة، ويؤكد حق كل إنسان فى أن يحيا آمناً مطمئناً على روحه وماله وكل حقوقه قبل المجتمع، ومن ذلك أننا نجد الإسلام يأمر أتباعه بعدم الإعتداء على الغير ولو بالكلمة، ويحرم عليهم ذلك تحريماً قاطعاً. فيقول رسول الله ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٢).

بل وينفى عن صاحب الاعتداء والفحش صفة الإيمان فيقول «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء» (٣) ويؤكد الحق تبارك وتعالى ذلك المعنى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، ويجعل ضبط اللسان عن أعراض الناس وحرماتهم وعن أى نوع من أنواع اللغو. صفة من صفات المؤمنين فيقول: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣].

---

(١) أنظر محمد قطب - قبسات من الرسول. (٢) متفق عليه.
(٣) الترمذى وقال حديث حسن.

كما ينهى الإسلام عن خدش كرامة المسلم وتجاهله فيقول الرسول ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه » (١). هذا وينهى الإسلام عن الحسد والتحاسد بين الناس. بل ويجعل الحاسد عدو نعم الله فى الأرض فيقول جل شأنه ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النساء : ٥٤] و يقول الرسول ﷺ موصياً المؤمنين « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٢)، وما ذلك إلا لأن الحسد يعمل على انتشار الفرقة، وعموم الضغائن بين الناس مما يؤدى بدوره إلى كثرة الفتن وشيوع الظلم والاعتداء فى المجتمع.

| | |
|---|---|
| يـا حاسداً لـى على نعمتى | أتدرى على من أسأت الأدب |
| أسأت علـى الله فـى حكمه | لأنك لـم ترض بمـا وهب |
| فـأخـزاك الله بـأن زادنـى | وسـد عليك وجوه الطلب |

كما ينهى الإسلام نهياً قاطعاً عن مساس حقوق الناس أو اقتطاعها بغير حق فيقول رسول الله ﷺ « من اقتطع حق أمرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال : وإن قضيباً من أراك » (٣) ولهذا يذكرهم بقصاص الله يوم القيامة فيقول « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » (٤) وفى حديث جامع يقول الرسول ﷺ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولاتباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله. التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه »(٥).

ثم نجد الإسلام فى سبيل محافظته على الحياة البشرية وعدم الاقتراب منها

---

(١) متفق عليه. (٢) أبو داود

(٣، ٤) رواه مسلم. (٥) مسلم.

بأى نوع من أنواع الاعتداء أو الإهانة . ينهى عن مجرد الإشارة إلى إنسان بحديدة أو سلاح، وهى درجة رفيعة من الصيانة والتكريم للحياة البشرية فيقول رسول الله ﷺ « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار » (١).

ولا يقف احتياط الإسلام وحذره فى سبيل حماية الحياة البشرية عند هذا الحد بل يرتقى مرتقىً آخر بما رواه جابر رضى الله عنه حين قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُتعاطى السيف مسلولاً » (٢). بل ويحرم الإسلام مجرد إشهار الإنسان لسيفه فى وجه أخيه وإن لم يضرب به وإن الملائكة تلعن من يشير إلى أخيه بحديدة يخيفه بها وإن لم يضربه حتى ولو كان أخاه لأبيه وأمه فيقول « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » (٣).

ثم ينهى الإسلام عن حمل السلاح بنية استخدامه والاعتداء به فيقول ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (٤).

بل إن الإسلام حفاظاً على الأمن النفسى فى الإنسان يحرم ترويع المسلم وتخويفه وإن لم يحدث إيذاء أو اعتداء فيقول رسول الله ﷺ « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » (٥) ووصل حرص الإسلام كذلك على الأمن والأمان إلى درجة أن النظرة حين لا يكون فيها أمان يعاقب الله صاحبها عليها . قال رسول الله ﷺ « من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة » (٦)، وكل ذلك حتى يتعود المسلم على المحافظة على حرمات غيره وعدم الاعتداء أو المساس بحقوقهم حتى يكون مستحقاً لكونه مسلماً لأن عدم الاعتداء هو أولى سمات المسلم والمؤمن كما وصفه رسول الله ﷺ فى قوله: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » (٧).

---

(١) متفق عليه.
(٢) الترمذى: وقال حديث حسن
(٣) مسلم.
(٤) البخارى.
(٥) الطبرانى ورواته ثقات.
(٦) الطبرانى.
(٧) متفق عليه.

● **الإسلام وغير المسلمين :**

ولم يقتصر الإسلام فى تحريم البغى والعدوان على أنفس المسلمين فحسب بل دعا كذلك إلى صيانة أنفس غير المسلمين كما دعا إلى العدل معهم والبر بهم فقال تعالى : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [ الممتحنة : ٧ ] . كما يقول الرسول الله ﷺ : « من آذى ذمياً فانا خصمه يوم القيامة » وحكاية عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مع ابن عمرو بن العاص الذى إعتدى على المسيحى فى مصر معروفة للجميع لأن الإسلام لا يقر الاعتداء والظلم .

وخلاصة هذه القصة التى توضح معانى العدل الإسلامى مع غير المسلمين : أنه بينما عمر بن الخطاب جالس إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك . فقال عمر : لقد عذت بمجير فما شأنك؟ قال : سابقت على فرس ابناً لعمرو بن العاص والى مصر – فى ذلك العهد – فسبقته فجعل يضربنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين . فبلغ ذلك عَمراً – أباه – فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن . فانطلقت منه حين جئتك . فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى : أقم حتى يجىء فقدم عمر و فشهد الحج . فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو وابنه إلى جانبه قام المصرى فرمى إليه عمر بالدرة وأمره أن يقتد ممن ضربه . فأخذ يضرب ولم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع لكثرة ما ضربه وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . فقال يا أمير المؤمنين قد استوفيت وإشتفيت فقال : ضعها على صلعة عمرو . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى قال : والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع . ثم قال لعمرو : يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا(١) .

---

(١) ابو بكر الجزائرى – منهاج المسلم .

كما يؤكد الإسلام حق غير المسلمين من المعاهدين في الأمن والعدل وأخذ حقهم وعدم العدوان على أنفسهم وأموالهم فيقول الرسول ﷺ « آلا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » (١)، وقال عليه السلام « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً » (٢).

كما أكد الإسلام على حقوق غير المسلمين حين يستجيرون بالمسلمين فقال جل شأنه ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦]، وهكذا وَسع الإسلام أهل الكتاب في كل تعاليمه رحمة بهم وعدلاً معهم، وجعل طعامهم حلالنا وطعامنا حلالهم، وأباح للمسلم أن يتزوج من الكتابية يهودية كانت أو نصرانية مما يقتضي من أتباعه أن يوفوا بذلك العهد متأسين بتاريخ السلف الصالح وحركة التاريخ الإسلامي العام.

● **لن تؤمنوا حتى تحابوا:**

وبعد أن أكد الإسلام على حفظ الحقوق البشرية وصيانة الحرمات أكد على وجوب الحب والألفة والتعاون على البر والتقوى بين معتنقيه وذلك حتى يقيم مجتمعه على أسس راسخة وقواعد رصينة من التعاضد والتكافل تهيئة لمواجهة المصاعب ومجابهة العواصف بخطى ثابتة لا تزعزعها الأنواء ولا تؤثر فيها الكوارث فيقول النبي ﷺ: « والذى نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا.. آلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم.. أفشو السلام بينكم » (٣)، ويأتي إليه رجل ويقول: يا رسول الله أى الإسلام خير؟ فيقول له: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (٤) وعند دخوله المدينة في أول عهده بها يقول: يا أيها الناس أفشو السلام وأطعموا الطعام وصِلُوا الأرحام وَصَلُّوا والناس نيام. تدخلوا الجنة بسلام » (٥).

---

(١) أبو داود. (٢) البخاري. (٣) مسلم.
(٤) متفق عليه. (٥) الترمذى وقال: حسن صحيح.

إلى جانب إفشاء السلام وصلة الأرحام يأمر الإسلام كذلك بالتعاون بين المسلمين وبحسن الخلق ويجعل لهذين الخلقين درجة عظيمة عند الله فهما مناط الخيرية وسبب التفاضل بين الناس فى مجتمع الإيمان والإسلام فيقول الرسول ﷺ : « من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » (١)، وأجاب من سأله عن أكثر شيء يدخل الجنة بقوله : « تقوى الله وحسن الخلق » (٢)، وقال أيضاً : « إن أقربكم منى مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون »(٣)، كما أوصى أنس رضى الله عنه بقوله : « يا بنى إن قدرت أن تُصبح وتُمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال له : يا بنى وذلك من سنتى ومَن أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة » (٤)، وقال فى وصف المؤمن « المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس »(٥).

وهكذا نكون قد وقفنا على أن القتل والاستهانة بحق الحياة البشرية والتعدى عليها بالاهلاك هو أول جريمة حدثت على سطح الأرض منذ وطئت قدما الإنسان الأرض ، وأن الشهوة والغضب كانا الدافعين الحقيقيين وراء تلك الجريمة المنكرة مما جعل الإسلام يضع من الضوابط والتعاليم ما يكفل تهذيب وكفكفة هذين الخلقين حتى يضمن إقامة مجتمع خال من تلك الجرائم الصارخة على الحقوق البشرية .

كما عمل فى نفس الوقت على تأكيد خلقى الرحمة والرفق بالإنسان بلا تفرقة فى ذلك بسبب الجنس أو الوطن، كما حدا بالإنسان نحو المحافظة على أبسط وأدق الحقوق البشرية حتى يوجهه إلى تقدير الحياة البشرية حق قدرها وعدم المساس بحرمتها مهما كانت الدوافع والأسباب .

---

( ١ ) مسلم .

( ٢ ) الترمذى وقال : حسن صحيح غريب .

( ٣، ٤ ) الترذمى وقال : حسن .

( ٥ ) ابن جريج .

# القتلُ ما القتل؟
# وكيف يراه الإسلام وينظر إليه؟

## وينقسم إلى مباحث:

**المبحث الأول :** الصانع لا يفسد صنعته .

**المبحث الثانى :** تعريف القتل .

**المبحث الثالث :** الفرق بين الموت والقتل .

**المبحث الرابع :** أنواع القتل .

**المبحث الخامس :** الإكراه يعفى من المسئولية إلا عنه .

**المبحث السادس :** تجريم القتل والانتحار فى الكتاب والسنة .

**المبحث السابع :** تحريم قتل المعاهد والمستأمن .

**المبحث الثامن :** العصمة : مصادر اكتسابها وزوالها .

**المبحث التاسع :** مشروعية قتال الكفار فى الإسلام .

## ● الصانع لا يفسد صنعته :

وبعد أن وضع الحق تبارك وتعالى من الضوابط الخُلُقية الكريمة، والآداب المحمدية الحميدة ما يكفل ازدهار الفضائل واندحار الرذائل بين المسلمين ليمثلوا أمة تحتذ بها بقية الأمم فى الخير والصلاح والعدل والاعتدال، وتقتعد بين الأمم مقعد الأسوة والقدوة فى كل ما فيه رفع لكرامة الإنسان، ومحافظة على حياته ومتعلقاتها تصديقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

يستكمل الإسلام تلك المسيرة المباركة بتشريع القواعد والأحكام التى تشكل للإنسان مجتمعاً آمناً سعيداً ليس بقدرات البشر ولكن بقدرات الله رب البشر. الذى خلق الإنسان، وخلق له الكون بكل ما فيه من نعم وآلاء وسخره له.

ولأن كل صانع هو أدرى بصنعته، وأعلم بما يُصلح أمرها أو يفسده كان حقاً لله تعالى أن يضع للإنسان قانون صيانته، ومنهج حياته. فالإنسان حين يصنع آلة من الآلات أو معدة من المعدات يضع لها قانوناً للصيانة يجب أن يرجع إليه كل من يحاول التعامل مع تلك الآلة بتشغيل أو بإصلاح اعترافاً بفضله فى صناعتها، وعلمه بكل ما يتعلق بها من دقائق الأمور، ولله المثل الأعلى فى ذلك فهو الخالق العليم بصنعته، الحقيق بوضع قانون صيانتها ومنهج حياتها وفق علمه الذى لا تحده حدود ولا تقيده قيود: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [تبارك: ١٤].

ومن ناحية أخرى فإن الصانع دائماً هو الأغير على صنعته فلو أن إنساناً زرع زرعاً ثم بذل فى سبيل حصاده مجهودات الحرث والبذر والرى والرعاية حتى أخذ فى النمو، وأشرف على النضج ثم جاء إنسان آخر ليفسد هذا الزرع بقطع أو حرق. فإننا نجد صاحب هذا الزرع يغار على زرعه، ويتصدى لهذا المعتدى ولو كلفه ذلك الشيء الكثير. لأن الصانع دائماً لا يفسد صنعته، ولا يترك لغيره

سبيلاً إلى إفسادها ولهذا كان حقاً لله خالق الإنسان أن يغار عليه ويمنع عنه أى اعتداء لاسيما وأنه وضع فيه من الآيات والقدرات والطاقات ما يجعله بحق سيداً لهذا الكون كما سبق توضيحه»[1].

ولهذا حينما ننظر إلى تشريع الله لخلقه نجده يضع الضمانات الكاملة للمحافظة على الإنسان بكل متعلقاته مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وهكذا راعت الشريعة مصلحة وحياة الإنسان في كل بنودها فكل ما يصلح للإنسان وحياته من طعام وشراب وقيم تركته حلالاً مباحاً ثم حرمت كل ما يصيبه بالضرر أو يتلف جسده أو يؤثر على عقله تماماً كما يحدد صاحب الآلة الوقود الذى يصلح لها. فمنهج الله وشريعته ليس لهما غاية إلا مصلحة الإنسان ودرء المفسدة عنه.

ولكن المجتمع لا يخلو من أصحاب الشهوات والأطماع الذين يعمدون إلى تعدى حقوقهم والاعتداء على غيرهم لتحقيق شهواتهم وأطماعهم، ونيل أغراضهم الدنيئة، ومن هنا كانت الجناية والجريمة، وأول جناية على الأرض – كما سبق – هى جناية ابن آدم على أخيه.

والجناية اسم لما يجنيه الإنسان من الشر، وهى تطلق شرعاً على الأقوال والأفعال العدوانية المحرمة شرعاً سواء كان العدوان على الإنسان أو على المال أو على البهائم أو على الجماد، فإن كان العدوان على الإنسان فإنه ينقسم إلى أربعة

---

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

أقسام بحسب نوع الاعتداء. فإن كان على النفس فهو جناية قتل، وإن كان على ما دونها من الأعضاء فهو جناية جرح، وإن كان على الفروج فهو جناية زنا، وإن كان على الأعراض فهو جناية قذف.

أما إن كان العدوان على المال فهو جناية سرقة إن أخذ خفية، وجناية حرابة إن أخذ بقوة السلاح.

وإن كان الاعتداء على العقول بالمشروب أو المأكول المسكر فهو جناية شرب وسكر وإن كان العدوان على الجماد أو البهائم فهو جناية غصب وإتلاف، ولكن غلب في عرف الفقهاء استعمال الجناية في العدوان على النفس أو مادونها من أعضاء الجسم.

**• الجريمة شرعاً:**

وهى إتيان فعل أو قول حرم الشرع إتيانه وعاقب عليه بحد أو تعزير، أو ترك فعل أو قول حرم الشرع تركه وعاقب عليه بحد أو تعزير، وقد عرفها الماوردى بأنها: محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير. ويتبين من التعريف الشرعى للجريمة أن الفعل أو الترك لا يكون جريمة إلا إذا تحققت فيه أمور هى:-

١ - أن يكون طلب الفعل أو الترك صادراً من الشرع.

٢ - أن يكون طلب الفعل أو الترك طلباً جازماً بأن تكون صيغته تدل على الحتم والحسم مثل «حرمت عليكم الميتة».

٣ - أن يرتب الشارع على الفعل أو الترك عقوبة دنيوية - حد أو تعزير[١].

هذا وقد وضع الإسلام جريمة القتل والاعتداء على أرواح الآمنين على قمة هذه الجرائم وعلى رأس تلك الاعتداءات التى قد يرتكبها الإنسان فى حق الحياة والأحياء، وذلك بعد الإشراك بالله.

---

(١) أنظر: محمد رشدى إسماعيل - الجنايات فى الشريعة الإسلامية.

○ **تعريف القتل :**

القتل هو محاولة إزهاق روح الحى بنقض بنيته . فلكى تبقى الروح في الجسد لابد أن يكون ذلك الجسد محتفظاً بسلامته وصحة بنيانه التى خلقه الله عليها فإذا جاء إنسان أو حيوان ونقض تلك البنية أو هدم أى ركن أساسى فيها . فإن الروح تخرج من هذا البدن .

والحى وإن لم تُنقَض بنيته حين يأتى أجله يموت . إذن نقض البنية من الإنسان الذى يريد أن يقضى على إنسان عمل غايته إنهاء الحياة، ولا يظنن ظان أن هناك إنسانا يستطيع إزهاق روح إنسان ولو بنقض بنيته وإنما يصادف فعله إنتهاء أجله كما قدره الله[1] . ولذلك نجد أن إنساناً يشترك فى معركة من المعارك ويتعرض خلالها لكل ألوان الهلاك والدمار فتمر بجانب رأسه القذائف وتتساقط بالقرب منه القنابل وربما أصابته رصاصة بالقرب من مكان حساس فى جسده ورغم كل ذلك الخطر يُنقذ من الموت وتبقى له فى الحياة بقية لأن عمره الذى قدره الله له لم ينته بعد .

ثم إننا نجد إنساناً آخر يتمتع بكل مقومات الحياة من صحة وفتوة ويأتيه الموت والهلاك لأتفه الأسباب كأن يسقط فى حفرة أو يضربه أحد الأشخاص ضربه لا تؤدى فى عرف الناس إلى الهلاك مثل قتيل سيدنا موسى عليه السلام والذى يصفه الحق بقوله ﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عليه** ﴾ [ القصص : ١٥ ] وذلك لأن هذا الحادث البسيط قد صادف انتهاء أجل ذلك الشخص وعمره الذى قدره الله له . فالذى ينقض الحياة هو واهب الحياة سبحانه .

وقد وقع الجزاء والعقاب على القاتل لا لأنه أمات القتيل ولكن لأن القاتل تعجل فى عرفه ما أخره الله، والحق أن القتيل ميت بأجله ولهذا يعتبر القتل العمد نوعا من أنواع الشرك، وذلك لأن القاتل يظن أن الشخص الذى يريد قتله والتخلص منه لا تزال له بقية فى الحياة قد قدرها الله له . ثم يذهب هو من منطلق بغضه وحنقه عليه

( ١ ) تفسير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

لينهى هو هذا الأجل، وكأنه يملك القدرة فى أن يهدم إدارة الله فى ذلك الشخص، والواقع أن ضربه واعتداءه عليه يصادف فقط انتهاء أجله الذى قدره الله له.

ولهذا يروى أن الطاعون نزل بقرية من القرى فخرج منها شاب يبغى النجاة وطول العمر، وبينما هو سائر فى طريقه إذ لدغته أفعى فمات فقال أبوه يرثيه:

طاف يبغى نجوة  من هلاك فهلك
والمنايا رصد  للفتى حيث سلك
ليت شعرى ضله  أى شىء قتلك
كل شىء قاتل  حين تلقى أجلك

والقتل فى اصطلاح الفقهاء هو: إزهاق لروح آدمى به حياة مستقرة وجريمة القتل هى: إزهاق آدمى لروح آدمى معصوم الدم على التأبيد وبه حياة مستقرة بغير حق.

ولذلك فأركان جريمة القتل هى:

١ – إزهاق روح آدمى به حياة مستقرة بفعل إنسان مباشرة أو تسبباً بغير حق والمباشرة: هى الأفعال التى تؤدى إلى الموت مثل الضرب أو الطعن أو الحرق، والتسبب: هى الأفعال التى لا تؤدى إلى الموت بذاتها وإنما بالواسطة كشهادة الزور وحفر البئر فى الطريق.

٢ – أن المقتول معصوم الدم بالنسبة للقاتل على التأبيد أى أن الشرع يُحرم عليه قتله حتى ولو كان مهدراً لشخص آخر.

٣ – اتصال رابطة السببية بين فعل الجانى وموت المجنى عليه بحيث لا يتخلل بينهما شىء يمكن أن يضاف الموت إليه سواء أكان هذا الشىء من فعل المجنى عليه نفسه أو إهماله أو فعل الغير أو عوامل طبيعية. فمثال فعل المجنى عليه بنفسه أن يُجرح فيركن إلى الفرار فيساعد الإجهاد على موته ومثال الإهمال: أن يُهمل ربط الجرح فيساعد النزيف فى موته، ومثل فعل شخص آخر: أن يخطىء

الطبيب فى العلاج، ومثال تدخل عوامل طبيعية تسمم جرح المجنى عليه من التلوث الجوى أو العلاج فيساعد ذلك على وفاته، وفى كل هذه الصور لا يتغير وصف العمدية والجانى يكون قاتلاً عمداً مادام فعله قد أدى إلى الموت وكان قاصداً لذلك فى رأى الجمهور وإن لم يكن قاصداً لذلك فى رأى الإمام مالك. رضوان الله على الجميع(١).

**• الفرق بين الموت والقتل:**

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الموت والقتل لأن كلاً منهما يمثل اصطلاحاً يختلف عن الآخر تمام الاختلاف. فالموت هو خروج روح الإنسان دون نقض بنيته كأن يقال لها اخرجي فتخرج، ولا يستطيع هذا الأمر أو يقدر عليه أحد إلا الله تعالى. الذى إن أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وقد كتب الله الموت على كل شىء فقال جل شأنه: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وقال: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

أما القتل فهو – كما سبق – إزهاق الروح بنقض البنية وإفسادها، وكما سبق لا يستطيع إنسان أن يزهق روح إنسان ولو بنقض بنيته، وإنما محاولته تصادف فقط انتهاء أجله وحياته كما قدرها الله، ولوجود هذا الفارق بين الموت والقتل نجد أن الله تعالى بعد غزوة أحد يخاطب صحابة رسول الله ﷺ بقوله ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. كما يوضح المعنى أكثر فيقول جل شأنه: ﴿ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٧ – ١٥٨].

---

(١) أنظر المغنى جـ٩ ص ٣٢٤، الشرح الكبير جـ٤ ص ٢١٩.

ولهذا أيضاً يقول العربى الشجاع عنترة :

| | |
|---|---|
| بكـرت تخوفنى الحتوف كأننى | اصبحت عن عرض المنون بمعزل |
| فـأجبتهـا أن المنيـة منهـل | ولابـد أن أسقى بكـأس المنهل |
| فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى | أنى امـرؤ سـاموت إن لم أقتل |

**أنواع القتل :**

ويتنوع القتل إلى أنواع باعتبار قصد الجانى لإزهاق روح المجنى عليه وعدم قصده لذلك، وقد افترق الفقهاء فى ذلك إلى مذهبين أساسيين هما :

مذهب جمهور الفقهاء أن القتل ثلاثة أنواع :

١ – عمد . ٢ – شبه عمد . ٣ – خطأ .

وزاد علماء الأحناف نوعين آخرين هما : ما جرى مجرى الخطأ والقتل بالتسبب وذهب المالكية إلى أن القتل نوعان فقط هما : عمد وخطأ ولا واسطة بينهما البتة .

فمذهب الجمهور أن القتل ثلاثة أنواع واستدلوا على ذلك بأن العمد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣]، وكذلك القتل الخطأ ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ** ﴾ [النساء: ٩٢] .

وأما شبه العمد فقد ورد فى السنة النبوية الشريفة فيما رواه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إن قتيل الخطأ شبه العمد قتيل السوط أو العصا فيه مائة من الإبل أربعون فى بطونها أولادها » (١) . وبما رواه عمر

(١) رواه الخمسة إلا الترمذى .

ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال: «عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يُقتل صاحبه، وذلك أن ينزو الشيطان بين الناس فتكون دماء فى غير ضغينة ولا حمل سلاح»(١).

واستدلوا كذلك على شبه العمد بالتقسيم الفعلى لفعل الجانى لأن الجانى إما أن يقصد بفعله الضرب والقتل معاً وذلك هو قتل العمد. أو يقصد الضرب فقط ولا يقصد معه القتل ولكن فعله يؤدى إلى القتل وهذا هو قتل الخطأ شبه العمد أو لا يقصد الضرب ولا القتل وإنما يصدر عنه فعل يؤدى إلى موت المجنى عليه وهذا هو قتل الخطأ.

أما مذهب المالكية فهو أن القتل نوعان فقط هما:

١ - عمد.

٢ - خطأ، ولا واسطة بينهما، وحجتهم فى ذلك أنه لم يرد فى القرآن الكريم إلا هذان النوعان ولو كان هناك نوع ثالث لذكره القرآن. كما أن العقل يؤيد ذلك. إذ أن العمد هو ما قصد فيه العدوان، والخطأ هو ما خلا من هذا القصد، وعلى ذلك فكل عدوان أدى إلى الموت فهو عمد ما لم يكن على سبيل اللعب أو التأديب ممن له حق التأديب.

وبالنظر يظهر رأى جمهور الفقهاء أن القتل ثلاثة أنواع: عمد، وشبه عمد، وخطأ. لورود السنة الصحيحة بذلك، ولأن المشاهد والحاصل بين الناس يؤيد ذلك إذ كثيراً ما تثور مشاحنات بين الناس فيقصدون بعضهم بعضاً بالعدوان للتأديب أو الردع بدون قصد القتل وقد يؤدى ذلك إلى القتل لأحد المتشاحنين وكل الدلائل تشير إلى أن قاتله لا يقصد قتله إذ لا مصلحة له فى ذلك. بل قد يكون لا يعرفه ولا صلة له به وإنما جمعهما الطريق أو وسيلة المواصلات، وحديث عمر بن شعيب يشير إلى ذلك إذ يقول رسول الله ﷺ: «وذلك أن ينزو الشيطان بين الناس فتكون دماء فى غير ضغينة ولا حمل سلاح».

---

(١) أحمد وأبو داود.

والقاعدة فى القتل العمد عند الشافعى وأحمد أن تكون الآلة أو الوسيلة قاتلة غالباً بذاتها أو قاتلة بالنسبة لحال المجنى عليه وهذا ما نختاره فى تحديد العمد من الخطأ لأن الآراء الأخرى للفقهاء إما أن توسع الدائرة لتتناول كثيراً من الأبرياء وتدخلهم فى دائرة العمد، وإما تضيقها لتسمح بإفلات كثير من الجناة من عقوبة القصاص » [1].

ورغم ذلك فوجاهة مذهب الإمام مالك فى قصر القتل على العمد والخطأ فحسب : فى تضييقه الخناق على أى مشاحن أو معتدٍ . . حيث يدرك أن تهوره وطيشه قد يؤديانِ به إلى جريمة قتل وبالتالى يعرضانه لعقوبة القصاص مما يجعله أكثر ضبطاً لمشاعره وإلجاماً لانفعالاته ونزواته .

## • أثر العواطف فى المسئولية :

ولا أثر كذلك للعواطف والانفعالات فى المسئولية الجنائية على جريمة القتل بصفة خاصة، وذلك لأنها جريمة خطيرة تهز كيان المجتمع بأثره وتفسد روابطه الاجتماعية . فالعواطف سواء كانت نبيلة كمن يدفعه الحب أو الشفقة لقتل مريض بمرض خبيث لا يرجى شفاؤه ويعانى منه آلاماً حادة ومستمرة . . أو دنيئة كمن يدفعه بغض شخص إلى قتله لا تؤثر على مسئولية الجانى وتجريم فعله، ويعاقب الجانى بعقوبة القصاص فى الحالتين، وكذلك الانفعالات كالإثارة والغضب والاندفاع والتهور لا أثر لكل هذا على مسئولية الجانى فى جرائم القتل نظراً لخطورتها .

## ○ أثر السكر فى المسئولية الجنائية :

والسكر هو ستر العقل نتيجة تناول مشروب أو مأكول مسكر، والسكران أثناء سكره مستتر العقل الذى هو مناط التكليف والمسئولية . . فما حد السكر الذى يعتبر ساتراً للعقل؟، وما مدى مسئولية السكران؟ .

---

( ١ ) محمد رشدى إسماعيل – الجنايات فى الشريعة الإسلامية .

**أولاً: حد السكر المؤثر فى المسئولية الجنائية فيه رأيان:**

الأول لأبى حنيفة الذى يرى أن السكر هو الذى يُذهب العقل بالكلية ويكون به السكران لا يعقل قليلاً ولا كثيراً، ولا يعرف السماء والأرض ولا يفرق بين الرجل والمرأة.

**والرأى الثانى للائمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد وهو:** أن حد السكر هو الهذيان ولهذا قالوا أن الذى لا يعلم ما يقول هو السكران.

وأما عن أثر السكر فى المسئولية الجنائية عن القتل وبقية جرائم الحدود. فقد قسم العلماء السكر من حيث أثره فى المسئولية الجنائية إلى قسمين هما:

السكر بغير قصد ويسمى السكران بغير قصد السكران بغير تعد مثل السكران بأثر دواء وهو معذور فيه فترتفع مسئوليته الجنائية ويرفع عنه العقاب فيما يرتكبه من الجرائم أثناء سكره هذا لأن عقله قد زال رغماً عنه، والعقل هو مناط المسئولية ولذلك يرى الفقهاء فى هذه الحالة أن حكم السكران هو حكم المجنون.

**والقسم الثانى:** هو السكر مع القصد والاختيار. أى شرب المسكر مع العلم بكونه مسكرا، ويسمى السكران فى هذه الحالة السكران بتعد أى بقصد، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن السكران بتعد مسئول عن كل أفعاله وأقواله ويُعاقب على كل ما يرتكبه من جرائم كالصاحى.

وذهب فريق من العلماء إلى أن السكران غير مسئول عن أقواله وأفعاله أثناء سكره ومستند هذا الرأى أن مناط المسئولية هو العقل، والسكران فاقد للعقل، ولا فرق بين ذهاب عقله بسبب محظور أو مباح فالمهم هو حصول السكر وذهاب الوعى فيلحق السكران بالمجنون ولا يعاقب على جرائمه التى يرتكبها وهو سكران.

وذهب الليث بن سعد: إلى أن السكران بتعد مسئول عن كل ما جنته جوارحه فيحد للشرب والزنا والسرقة ويُقتص منه للقتل. وغير مسئول عن أقواله

فلا يحد للقذف ولا تصح تصرفاته من طلاق وعتاق وزواج وبيوع، وهذا رأى سديد لأنه راعى المصلحة التى هى هدف الشرع. لأن من عامله كالصاحى وأمضى أقواله فى الزواج والطلاق والبيوع يضر بمصالح غيره من أسرته وذويه فيضر الزوجة والأولاد ويفكك روابط الأسرة والمجتمع، ومن عامله كالمجنون فإن ذلك يؤدى إلى ضياع الحقوق إطلاقاً وتوقف الحدود وفى ذلك فساد كبير لأنه يؤدى إلى تشجيع المجرمين والمارقين على ارتكاب كل أنواع الجرائم والاعتداءات بحجة السكر.

**● الإكراه يعفى من المسئولية إلا عن القتل:**

ثم يرتقى الإسلام مرتقىً آخر فى سبيل عصمة الدماء وحماية الأرواح وتأكيد حق الحياة البشرية فيجعل الإكراه على القتل غير عافٍ من المسئولية الجنائية والإكراه هو: أن يفعل الإنسان فعلاً مجبوراً عليه بسبب تهديد قوى يقع عليه.

فإذا أكره الإنسان على أكل لحم الخنزير أو أكل الميتة أو شرب الخمر فإنه يحل له الأكل والشرب ويحرم عليه الامتناع والصبر حينئذٍ. ما دام قد أكره على ذلك بما يتلف جسده أو يعرضه للهلاك، وذلك مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٧٣][1].

وإذا أكره الإنسان على الكفر أو الشرك أو على إتلاف مال مسلم، وكان هذا الإكراه بالقتل أو القطع أو العذاب المهلك جاز له أن يُظهر الكفر بلسانه مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان، وجاز له أن يتلف المال لأن إتلافه ليس بشيء فى جانب إتلاف النفس المؤمنة مصداقاً لقول الحق جل وعلا: ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ**

(١) أنظر المغنى جـ١.

بعد إيمانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ النحل : ١٠٦ ]

أما إذا أكره الإنسان على قتل معصوم إكراها ملجئاً فقتله فكلُ من المُكرِه والمكرَه قاتل عمد . لأن المُكرَه – بفتح الراء – فى هذه الحالة ليس أولى بالحياة من المزمع على قتله رغم اختلاف الفقهاء فى حقيقة القاتل بينهما وفى توقيع العقوبة بينهما .

ولكن ذهب مالك وأحمد والرأى الراجح للشافعى إلى وجوب القصاص من المُكرِه والمباشر على حد سواء، وقد أُسس هذا الرأى على أن المكره قاتل عمداً لأنه تسبب فى القتل بما يفضى إليه دائماً، ولأن المباشر – المُكرَه – قد قتل ليستبقى حياته، والقاعدة أن الضرر لا يزال بالضرر وهذا رأى سديد لأنه يُرسى فى العقول والأفهام ما للأرواح من حرمة يجب أن تصان، وما للدماء من عصمة يجب ألا تستباح .

**• الخطأ فى الشخصية لا يؤثر فى وصف القتل :**

أما إذا أخطأ القاتل فى الشخص أو الشخصية المزمع الاعتداء عليها فإن ذلك لا تأثير له فى وصف القتل فى الرأى الراجح للفقهاء . فمن قصد قتل شخص معصوم الدم فأخطأه وأصاب معصوماً آخر، ومن أطلق الرصاص على من يظنه زيداً المعصوم الدم فأصابه وتبين أنه خالد المعصوم الدم أيضاً . فالرأى الراجح للفقهاء أن الجانى مسئول عن القتل لأنه قصد فعلاً محرماً ونتج عنه قتل معصوم، أما إن أصاب فى الحالتين مهدر الدم فلا مسئولية قتل عليه وإنما يعذر(١) .

**• الدفاع الشرعى :**

وقد استثنى الإسلام المدافع عن نفسه وعرضه وماله من الاتهام بالقتل باعتباره مدافعاً لا معتدياً، والدفاع الشرعى هو حماية الإنسان نفسه ونفس غيره وعرضه وعرض غيره وماله ومال غيره من العدوان الحال غير المشروع بالقوة اللازمة

---

( ١ ) محمد رشدى إسماعيل – الجنايات فى الشريعة الإسلامية .

لدفع هذا العدوان والدفاع عن النفس والعرض والمال ومشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فبقوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وأما السنة فبما رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال «من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد» وروى مسلم في صحيحه - باب الدليل على من أراد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم - عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من قُتل دون ماله فهو شهيد»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي.. قال: فلا تعطه مالك. قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: فهو في النار.

أما بالنسبة للدفاع عن الغير فقد ثبت بالسنة أيضاً في قوله ﷺ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.. قالوا يا رسول الله ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تردعه عن ظلمه فذلك نصرك إياه» [1] وقوله «إن المؤمنين يتعاونون على الفتان».

وذهب الأحناف والرأي الراجح للمالكية والشافعية إلى أن الدفاع عن النفس واجب. فيجب على المسلم أن يدافع عن نفسه ونفس غيره للأمر بحفظ النفس في حين ذهب معظم الحنابلة ورأي لبعض المالكية والشافعية أن الدفاع عن النفس حق للمدافع وليس واجباً عليه. فليس يأثم بتركه واستندوا في ذلك إلى قول رسول الله ﷺ في الفتنة «اجلس في بيتك فإن خفت أن يبهرك شعاع السيف فغط وجهك»[2]، وفي لفظ آخر: فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وكان ذلك جواباً للسائل عما يفعله إذا أدرك الفتنة التي أخبر رسول الله ﷺ عن حدوثها بعده، وكذلك استدلوا بفعل عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ ترك القتال مع قدرته عليه وعلمه بان الثوار مصممون على قتله.

---

(١) رواه الجماعة إلا الترمذي. (٢) جامع الأصول.

وذهب بعض العلماء من الحنابلة والشافعية والمالكية أن دفع المعتدى فى الفتنة حق أما فيما عدا الفتنة فهو واجب، وهذا رأى سديد لأن حفظ النفس واجب بإيجاب الشرع، وإذا رُخص فى هذا الواجب فى حال الفتنة فذلك للمصلحة العامة إذ لو إلتزم كل إنسان مبدأ عدم القتال دفاعاً أو هجوماً لماتت الفتنة وانتهت فى مهدها. لأن كل فرد فى الفتنة يعتبر نفسه مدافعاً لا صائلاً أما لغير الفتنة فلردع الإعتداء أصلاً.

ويجب علينا هنا أن نذكر رأى الإمام ابن حجر فى فتح البارى والإمام الشوكانى فى نيل الأوطار وذلك فى إطار حديثهما عن قول المصطفى ﷺ «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار. فقيل هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه»(١)، وقد قال العلماء: أن معنى كونهما فى النار أنهما يستحقان ذلك، ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما أصلاً، وقيل هو محمول على من استحل ذلك وهو لا يلزم استمرار بقاءهما فى النار أبداً.

وقال الإمام الشوكانى «واحتج بهذا الحديث من لم ير القتال فى الفتنة، وهم كل من ترك القتال مع على فى حروبه مثل سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأبى بكرة وغيرهم. وقالوا يجب الكف حتى لو أراد قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل فى الفتنة فإن أحد أراد قتله دفع عن نفسه، ويدل على القول الآخر حديث أبى هريرة وفيه: أرأيت إن قاتلنى؟ قال قاتله»، ويدل على القول الأول أن الدفع لا يلزم المصول عليه – أى المعتدى عليه –.

وذهب جمهور الصحابة والتابعين على وجوب نصرة الحق، وقتال الباغين وحمل هذه الأحاديث على من ضعف عن القتال، أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق.

واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا فى هذه الحروب إلا عن

(١) متفق عليه.

اجتهاد، وقد عفا الله عن المخطىء فى الاجتهاد، بل وثبت أنه يُؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يُؤجر أجرين.

وقال الطبرى «لو كان الواجب فى كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف لما أُقيم حق ولا أُبطل باطل، ولو وجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبى الحريم بأن يعتدوا ويكف المسلمون أيديهم، ويقولوا هذه فتنة، وقد نهينا عن القتال فيها لاستشروا فى غيهم، وهذا مخالف للأخذ على أيدى السفهاء. وأخرج البزار زيادة فى هذا الحديث تبين المراد وهو: إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فى النار» ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ «لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس زمان لا يدرى القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيما قُتل فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج.. القاتل والمقتول فى النار».

قال القرطبى: فبين هذا الحديث أن القاتل إذا كان على جهل من طلب دنيا أو اتباع هوى فهو الذى أريد بقوله «القاتل والمقتول فى النار»[1].

**تجريم القتل فى الكتاب والسنة:**

ولقد وضع الإسلام جريمة القتل - كما سبق - على قمة الكبائر بعد الإشراك بالله والكفر واعتبرها هدماً لإرادة الله فى خلق الإنسان وتكريمه واستخلافه فى الأرض فالقتل اعتداء على نفس لم يخلقها المعتدى وعلى روح لم يوجدها بجانب كونه اعتداء على حق الله المحى المميت بل واعتبرها جريمة فى حق الحياة والأحياء جميعاً، ولهذا كله استبعد الإسلام حدوث هذه الجريمة النكراء فى مجتمعه وهو مجتمع الإيمان والأخلاق.

وتقدير الإنسان خليفة الله فى هذا الوجود ركن من أركان الإسلام. فليس من شأن هذه الجريمة البشعة أن تقع بين المؤمنين إذ ليس فى الدنيا بأثرها ما يساوى قطرة من دم مسلم تراق عن عمد وبغير حق وليس فى ملابسات هذه الحياة الدنيا كلها ما من شأنه أن يوهن علاقة المسلم بالمسلم إلى حد أن يقتله عمداً، فعلاقة

---

(١) أنظر: نيل الأوطار جـ ٧ وفتح البارى للإمام ابن حجر.

المسلم بالمسلم فى ظل الإسلام هى علاقة الألفة بين القلوب والتفاهم بين العقول والتعارف بين الأرواح، وهى علاقة التعاون والتعاضد على البر والتقوى، والتواصى على الحق والتواصى على الصبر، ومثلهم فى كل ذلك كمثل البنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضاً والجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا** ﴾ [النساء: ٩٢] وهكذا يستبعد وينفى الله عز وجل أن يتعمد مؤمن قتل مؤمن إلا أن يكون ذلك خطأ فى القصد أو خطأ فى الفعل.

وهذا هو الاحتمال الوحيد فى الحس الإسلامى لحدوث القتل فى مجتمع الإيمان ولو أن الحق تبارك وتعالى تكلم عن القتل العمد أولاً لكان ذلك أدعى لحدوثه أولاً. ولكن الحق يأتى بقتل الخطأ أولاً. ليقول أن القتل العمد ما كان يجب أن يحدث فى مجتمع الإسلام. لأنه الكبيرة التى لا ترتكب مع الإيمان والتى لا تكفر عنها دية، ولا عتق رقبة، وإنما يوكل جزاؤها إلى عذاب الله وغضبه ولعنته ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣].

وواضح أن الخلود فى النار الوارد فى هذه الآية الكريمة يكشف عن خطورة هذه الجريمة وخروج من يستحلها عن الإسلام. فلا خلود فى النار إلا لمن خرج عن الإسلام وشرد عنه، وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»(١).

وهكذا تتضح خطورة هذه الجريمة التى لاجزاء لمرتكبها إلا عذاب جهنم وغضب الله، ولعنته، وليس له كفارة أبداً لأن التعمد فيها يعنى أن القاتل قد عاش فى فكره أن يقتل ولذلك يقال فى القانون الوضعى: قتل العمد مع سبق الإصرار والترصد.

---

(١) الطبراني.

أما القتل الخطأ فالقاتل لا يدرى إلا بعد أن يقع الفعل. أما القتل العمد فيعنى أن القاتل قد عاش فى تخيله وفكره أن يقتل. ثم نفذ ذلك على أرض الواقع دون رحمة أو شفقة، وكان من المفروض فى الفترة التى رتب فيها لجريمته أن يراجعه وازعه الدينى، ويمنعه من تلك الجريمة المنكرة. فتنفيذه يعنى أنه قد نسى الله مدة التحضير للجريمة وتنفيذها. فلوجاء الله في باله لتراجع ومادام الإنسان قد نسي الله فإن الله يغيبه عن رحمته ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾.. وجاء فى سبب نزول هذه الآية أن رجلاً اسمه مقيس بن جشمامة الكنانى كان له أخ اسمه هشام مقتولاً فى بنى النجار - وهم قوم من الأنصار - فلما وُجد هشام قتيلاً ذهب مقيس الكنانى إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر. فأرسل الرسول معه رجلا من بنى فهر وقال له ما معناه: اذهب إلى بنى النجار مع مقيس وقل لهم: إما أن تسلموا قاتل هشام لمقيس ليقتص منه وإما أن تدفعوا إليه الدية. فلما ذهبوا لم يعرفوا القاتل. فدفعوا الدية، وقال مقيس: أنا آخذ الدية وأقتل فهراً وأكون قد قتلت نفساً بنفس وتكون الدية مكسباً.

وفعل ذلك ثم فر إلى مكة مرتداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أهدر دمه إلى أن جاء يوم الفتح فوجد مقيس متعلقاً بأستار الكعبة ليحتمى بها فأمر رسول الله بقتله ونزلت فيه هذه الآية كتهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذى قرنه الله بالشرك فى مواضع كثيرة من القرآن حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الفرقان: ٦٨] وقال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وغير ذلك كثير فى كتاب الله تعالى.

**o رأى ابن عباس:**

وقد أخبر سعيد بن جبير أنه سأل عبدالله بن العباس عن هذه الآية «ومن

يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيه » . فقال : إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولا توبة له . فذكرت ذلك لمجاهد فقال : إلا من ندم « وحملوا آية » والذين لا يدعون مع الله إلها آخر » على أنها نزلت فى أهل الشرك .

وقال الإمام أحمد أن رجلاً أتى إلى ابن عباس فقال : أرأيت رجلاً قتل رجلاً عمداً؟ فقال : فجزاؤه جهنم خالداً فيها . لقد نزلت من آخر ما نزل مانسخها شيء حتى قبض رسول الله وما نزل وحى بعد رسول الله . قال : أرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟ قال : وأنى له أن يتوب وقد سمعت رسول الله يقول : ثكلته أمه رجلٌ قتل رجلاً متعمداً يجيء المقتول يوم القيامة آخذا قاتله بيمينه أو بيساره، وآخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دماً من قبل العرش يقول : يا رب سل عبدك فيما قتلنى » [1]؟ .

وروى معاوية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » [2] ، وعن عقبة بن مالك الليثى قال : بعث رسول الله سرية فاغارت على قوم . فشد مع القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه . فقال الشاد مع القوم : إنى مسلم فلم ينظر فيما قال وقتله فنمى الخبر إلى رسول الله ﷺ . فقال فى القاتل قولاً شديداً فبلغ ذلك القاتل . فبيما رسول الله يخطب إذ قال القاتل : والله ما قال الذى قال إلا تعوذاً من القتل . فأعرض رسول الله عنه وعمن قبله من الناس وأخذ فى خطبته . فقال أيضاً : يا رسول الله والله ما قال الذى قال إلا تعوذا من القتل فأعرض عنه وعمن قبله من الناس، وأخذ فى خطبته . ثم لم يصبر حتى قال الثالثة : والله يا رسول الله ما قال الذى قال إلا تعوذاً من القتل .فاقبل عليه رسول الله تعرف المساءة فى وجهه وقال : إن الله أبى على من قتل مسلماً . . وكررها ثلاثا » [3] .

وعن أسامة بن زيد قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبحنا الحرقات من

---

( ١ ) الترمذى وحسنه والنسائى . ( ٢ ) الحاكم وصححه . ( ٣ ) رواه النسائى .

جهينة فأدركت رجلاً فقال : لا إله إلا الله . فطعنته . فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى ﷺ فقال : أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قلت : يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح . فقال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ مَن لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فمازال يكررها حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١) .

وحدث المقداد بن عمرو الكندى وهو ممن شهدوا بدراً : أنه قال : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها . ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله . . آقتله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ «لا تقتله» فقلت يا رسول الله فإنه طرح احدى يدى ثم قال ذلك بعد أن قطعها . . آقتله؟ قال : «لا تقتله» فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال»(٢) .

وفى ذلك تشديد وتضييق على كل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء الاقتراب من هذا الذنب الطارد من حظيرة الإسلام والمبعد عن رحمة الله والمؤدى إلى جهنم وبئس المصير : لاسيما مع ترديد كلمة التوحيد العاصمة : لا إله إلا الله .

**● للقاتل توبــــة :**

والذى عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل فإن تاب وأناب وخشع وعمل عملاً صلاحاً غفر الله له وبدل سيئاته حسنات وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [ الفرقان : ٦٨-٧٠ ]، ولا يجوز نسخ

---

( ١ ) الشيخان .　　　( ٢ ) البخارى .

هذه الآية وحملها على المشركين وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [ الزمر : ٥٣ ] .

وهذا عام فى جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك . فكل من تاب من ذلك وأناب تاب الله عليه . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ١١٦ ] . فهذه الآية أيضاً عامة فى جميع الذنوب ماعدا الشرك ، ولكن لمن مات على ذنبه ولم يتب .

وثبت فى الصحيحين خبر الإسرائيلي الذى قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله . فكمل به المائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض . فدل على رجل عالم . فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينك وبين التوبة ، فانطلق إلى أرض كذ وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : « قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه إلى الأرض التى أراد فقبضه ملائكة الرحمة . . وفى رواية . فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجُعل من أهلها » . . وفى رواية « فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تَقَرَّبى : وقال : قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » ، وفى رواية قال قتادة قال الحسن « ذُكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها »[1] . وفى كل ذلك دليل على قبول توبته .

---

( ١ ) البخارى ومسلم .

أما آية « خالداً فيها » فمعناها عند الجمهور : أن هذا جزاؤه إن جوزى عليها وهو فى هذه الحالة سوف يخرج من النار فهو ليس بمخلد أبدا . بل الخلود الوارد فى الآية هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان فى قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان » وحملوا قول ابن عباس على أنه نوع من التشديد والتغليظ من باب سد الذريعة .

وروى أنه جاء إليه رجل وسأله قائلاً : أللقاتل العمد توبة؟ قال له ابن عباس : لا وبعد ذلك بمدة وجيزة جاءه رجل آخر وسأله : أللقاتل العمد توبة؟ فقال له : نعم . فقال له جلساؤه وقد أخذهم العجب : كيف تقول ذلك وقد سبق أن قلت لا؟ قال : سائلى أولاً كان يريد أن يقتل عمداً . أما سائلى الثانى فقد قتل بالفعل . فالأول أرهبته والثانى لم أويئسه من رحمة ربى، وهى الفطنة والفراسة الإيمانية التى يبسطها الله على من يشاء من عباده المتقين» [1] .

والواقع ظهور رأى الجمهور لأن غلق باب التوبة أمام القاتل يؤدى ولا ريب إلى يأسه من رحمة الله وعفوه مما يحدو به نحو الاستشراء فى المعاصى، والاستزادة من الذنوب حتى يكون آفة تجلب المفاسد والشرور إلى المجتمع ولكن فتح باب التوبة أمامه يفتح له طريق الهداية والعودة إلي الطريق المستقيم من جديد ليكون فرداً صالحاً فى المجتمع .

ولهذا عندما أراد الله أن يتم على رسوله داود فضله ويجيب دعاءه علمه صنعة الدروع ليكون سبباً فى المحافظة على أرواح الناس عند الاقتتال وبالتالى فى استحيائها لينال ذلك الأجر العظيم من الله ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [ سبأ : ١٠ ، ١١ ] . حيث آلان الله له الحديد فلا يحتاج أن يدخله النار ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا

---

( ١ ) تفسير فضيلة الشيخ الشعراوى لهذه الآية .

قال الله تعالى : « أن أعمل سابغات » وهى الدروع وهو أول من صنعها من البشر » [1] .

ولا تخفى الحكمة من تعليم الله تعالى لرسوله داود صنعة الدروع التى تحمى حياة الجنود وتصون أروح المقاتلين بالذات، وهو تعبير قرآنى آخر عن قيمة الحياة البشرية وضرورة صيانتها والمحافظة عليها، وبشاعة الأعتداء عليها أو حتى مساسها .

● **ثانياً : تحريم القتل فى السنة :**

هذا وقد جاءت السنة المطهرة كذلك بما يؤيد تلك الآيات الكريمة فى تحريم القتل، وإيضاح ضعة أولئك الذين يستهينون بحياة الناس وأرواحهم وتبين كذلك عقابهم الذى ينتظرهم عند الله خالق الإنسان ومحدد دوره وهدفه فى هذا الوجود .

فيروى الإمام البخاري بسنده أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع « ألا أى شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا شهرنا هذا . قال: ألا أى بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا . قال: ألا أى يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا ألا يومنا هذا . قال: فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم — إلا بحقها — كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . آلا هل بلغت — ثلاثاً —؟ كل ذلك يجيبونه الا نعم قال ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » [2] .

وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما « رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وما أطيب ريحك . وما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه » [3] . ثم يضع رسول الله جريمة القتل فى موضعها الصحيح عند الله فيقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق » [4] .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير جـ٣ .   ( ٢ ) البخارى .   ( ٣، ٤ ) ابن ماجه بإسناد حسن .

ولهذا يعاقب الله المشتركين في قتل نفس واحدة مهما كان عددهم فيقول رسول الله ﷺ : « لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار »[1] . كما يجعل كل من شارك أو أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة آيس من رحمة الله عز وجل فيقول : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله » [2] . قال سفيان بن عينيه في قوله : « ولو بشطر كلمة » أن يقول لأخيه اق يعنى لا يتم كلمة القتل مما يوضح خطورة الاشتراك ولو من بعيد في هذا الجريمة الخطيرة . فما بالنا بأولئك الذين يُبيتون نية الاعتداء على الأبرياء العزل ويخططون الليالى ذوات العدد لتنفيذ جرائمهم وترويع الآمنين واغتيال المؤمنين الموحدين بلا أدنى رحمة أو شفقة ، ويستحلون كل ذلك باسم الإسلام في الدول المختلفة والرسول ﷺ يقول : « من قتل مؤمناً فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » [3] .

ثم إن القتل هو هدف الشيطان وبُغيته لأن فيه هلاك أعدائه من بنى آدم . . . بالموت والهلاك أو بالطرد من رحمة الله ولاسيما أن الشيطان سيعمل على استثمار هذه الجريمة وتوسيع دائرتها في حلقة مفرغة من الثأر وتبادل القتل حتى يصاب المجتمع الإيمانى بالشلل والضعف لتزداد سعادة الشيطان بهلاك أعدائه من المؤمنين .

**• تحريم الإنتحار :**

وبعد أن يحرم الإسلام القتل بين الناس يحرم أيضاً الإنتحار تحريماً قاطعاً لأن نفس الإنسان تدخل كغيره من نفوس الآخرين تحت تعريف النفس بوجه عام وهى ما قرر الله حرمتها ، ونهى عن المساس بها في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [ الأنعام : ١٥١ ] .

وجريمة الإنتحار تفوق في فداحتها جريمة قتل النفس وذلك لأنها تمثل جريمتين في آن واحد ، أما الأولى فرفض القضاء ، والقدر ، وأما الثانية فهى الاعتداء على نفس حرم الله قتلها إلا بالحق . لأن اعتبار الإنسان نفسه مالك روحه وجسده

---

( ١ ) الترمذى وحسنه .　( ٢ ) ابن ماجه – ضعيف – .　( ٣ ) رواه أبو داود .

وأن له الحق في إتلاف هذه الملكية بإرادته ورغبته واختياره يعد حماقة كبرى وخطأ فادحاً لأن الروح ملك لله وحده لا شريك له، ولا حق لنا فى إتلافها أو استعمالها في غير ما خلقت له.

فالله تعالى جعل لنا الجسد نستخدمه ولا نملكه ولا حق للإنسان فى التصرف فى جسده كما يتصرف فى ملكياته الأخرى التي ملكها الله له وأعطاه حق التصرف فيها فى دار الاختبار كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣]. والنفس لا تدخل فى هذه الملكية.

واختبار الله للإنسان فى معمل الحياة الدنيا لابد وأن يبقى حتى آخر وقت سواء كانت ظروف هذا الامتحان وأحواله سيئة أم حسنة. أما محاولة إنهاء الوقت الذى قرره الله له عمداً والهرب من مكان الاختبار ومعمله فهو خطأ كبير وفادح فى ذاته لأن هذا الهروب سيتحقق عن طريق جرم عظيم حرم الله ارتكابه تحريماً صريحاً قاطعاً. ومعناه أن الإنسان يريد أن يتجنب مصاعب الدنيا الصغيرة والمؤقتة.. فالانتحار يمثل عدم رضا المنتحر بقضاء الله وقدره، وقد ورد تجريمه فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩].

وفى الحديث قوله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسُم فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» (١). وروى جندب أنه كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تعالى: «بدرنى عبدى بنفسه فحرمت عليه الجنة» (٢)، وعن جابر قال: لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن

---

(١) مسلم.  (٢) الشيخان.

عمرو وهاجر معه رجل من قومه. فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه وهيئته حسنة، ورآه مغطياً يديه فقال له: ما صنع بك ربك؟ قال: غفر لى بهجرتى إلى نبيه ﷺ فقال مالى أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: «وليديه فاغفر»(١).

وقوله ﷺ «يتوجأ» أى يضرب بها نفسه، ويدل على أن من قتل نفسه من المخلدين فى النار. ولهذا يرى الإمام الشوكانى: أن يكون عموم إخراج الموحدين من النار مخصصاً بمثل هذا الحديث، ولكن ظاهر حديث جابر المذكور يخالفها. فإن الرجل الذى قطع براجمه بالمشاقص ومات من ذلك أخبر بعد موته الرجل الذى رآه فى المنام بأن الله تعالى غفر له، ووقع من النبى ﷺ التقرير بذلك بل دعاله، ويمكن الجمع بأنه لم يُرد قتل نفسه بقطع البراجم، وإنما حمله الضجر وما حل به من المرض أو خوفه من فتنة الكفار على ذلك. بخلاف الرجل المذكور فى حديث جندب فإنه قطع يده مريداً الإنتحار، وعلى هذا فتكون الأحاديث الواردة فى تخليد من قتل نفسه فى النار وتحريم الجنة عليه مقيدة بأن يكون المنتحر مريداً للقتل (٢).

والواقع إننا يجب أن نفرق بين المنتحر هروباً من ظلم الناس ومن صعوبة التعامل معهم ويستغفر الله وهو مقدم على فعلته المحرمة، وبين المنتحر رفضاً لقضاء الله واتهاماً له سبحانه، وكذلك بين المنتحر مرضاً. لأن المتفحص يجد للإنتحار دوافع متنوعة تنوع تبويبه بين الكفر وارتكاب الكبيرة والخطأ حسب نية المنتحر.

**قتل المُعاهد ومدى تحريم الإسلام له:**

وقد شدد الإسلام كذلك فى النهى عن قتل المعاهد أو المستأمن وهو الرجل

---

(١) حمد ومسلم. (٢) نيل الأوطار.

من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يبلغ مأمنه ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦]، ويدخل زمرة المعاهدين والمستأمنين في وقتنا الحاضر السائحين الذين نعطيهم إذناً بالدخول إلى بلادنا بتأشيرة الدخول فيحرم بذلك الاعتداء عليهم من أى مسلم ينتمى إلى مجتمع الإسلام والإيمان الذى قطع على نفسه العهد بتأمينهم فترة بقائهم فيه »[١].

وذلك لأن أمة الإسلام هى أمة الوفاء بالعهود والمواثيق.. ويجب أن لا تؤثر فى ذلك الإلتزام الاختلافات التى قد توجد أو تحدث فى ديار الإسلام لأن نقض العهود مع هؤلاء المعاهدين يؤدى إلى تشويه صورة الإسلام عالمياً ويظهره بمظهر الهمجية والتخلف التى عمل المستشرقون على نشرها وإرسائها زمناً طويلاً ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١].

ويقول رسول الله ﷺ مشدداً أو محذراً من قتل المعاهدين « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً »[٢]. وقال أيضاً « ألا من قتل نفساً معاهدة لهاذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله وذمة رسوله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. وفى رواية أربعين خريفاً »[٣]. وهذا دليل عن عدم دخول من قتل معاهدا الجنة لأنه إذا لم يشم رائحتها ونسيمها وهو يوجد من مسيرة أربعين عاماً لم يدخلها، وقوله فقد أخفر ذمة الله وذمة رسوله أى نقض عهده وغدر.

والحديثين قد اشتملا على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد لدلالتهما على تخليده فى النار وعدم خروجه منها. وتحريم الجنة عليه. مع أنه قد وقع الخلاف

---

(١) رأي فضيلة الشيخ الشعراوى. (٢) البخارى. (٣) الترمذى وصححه.

بين أهل العلم فى قاتل المسلم فهل يخلد فى النار أم يخرج عنها؟ فمن قال أنه يخلد فيها استند إلى قوله تعالى: « . . فجزاؤه جهنم خالداً فيها » مثل عبدالله بن عباس رضى الله عنه ومن قال بعدم تخليده على الدوام قال: الخلود فى اللغة هو اللبث والمكث الطويل ولا يدل على الدوام وهو رأى الجمهور، وأما قاتل المعاهد فالحديثان مصرحان بأنه لا يجد رائحة الجنة ولو من بعيد وذلك مستلزم عدم دخولها أبداً (١).

وخلاصة ذلك أن الإسلام ينهى نهياً قاطعاً عن مساس المعاهدين والمستأمنين بأي سوء لأنه دين السلام وعدم الاعتداء ودين الوفاء بالعهود وتكريم الإنسان دون قيد من لون أو جنس طالما لم يقم بينهم وبين المسلمين قتال.

- **مصادر اكتساب العصمة فى الإسلام:**

ومن هنا نستطيع أن ندرك مصادر العصمة فى الشريع الإسلام، ومعنى العصمة عدم إهدار الدم أى أن الإسلام يحمى نفس المعصوم وعرضه وماله ويحرم العدوان عليه وللعلماء فى مصادر اكتساب العصمة رأيان: الأول لجمهور العلماء وهو أن العصمة تكتسب بأحد أمرين:

١ – الإسلام.

٢ – والأمان، والأمان نوعان، مؤبد وهو الأمان المعطى للذميين من سكان دار الإسلام على الدوام من غير المسلمين الذين ارتضوا الدخول فى ذمة المسلمين وحمايتهم، والنوع الثانى أمان مؤقت وهو المعطى للحربى لدخول دار الإسلام لفترة محدودة والذى يكتسبه أبناء دار الحرب بالهدنة مع المسلمين.

إلا أن عصمة الدم بمقتضى هذا الرأى درجات فعصمة دم المسلم أقوى من عصمة دم الذمى، وعصمة دم الذمى أقوى من عصمة دم الحربى المؤمَن. أما عصمة الأعراض والأموال فلا تفاوت فيها، وبمقتضى هذا الرأى فإن المسلمين جميعاً معصومون سواء كانوا يسكنون دار الإسلام أودار الحرب، وكذلك المسلم الذى أسلم فى دار الحرب ولم يهاجر إلى دار الإسلام والأسير المسلم الباقى على

---

(١) نيل الأوطار جـ٧ وفتح البارى.

إسلامه ، والذميون معصومون أيضاً ماداموا يسكنون دار الإسلام ويوفون بعهدهم، والمستأمن معصوم فى فترة الأمان المعطى له وفى فترة الهدنة مادامت قائمة لأننا التزمنا بذلك والشريعة – كما سبق – تأمر بالوفاء بالعهود .

والرأى الثانى لأبى حنيفة وهو أن العصمة تكتسب بأحد أمرين أيضاً :

١ – الدار .

٢ – الأمان : فتكتسب العصمة مؤبداً بالدار أى دار الإسلام فكل من يسكن دار الإسلام ويلتزم أحكامه سواء كان مسلماً أو ذمياً فهو معصوم على التأبيد مع تساوى الجميع فى العصمة . أما الأمان فهو يُكسب عصمة مؤقتة وهى أقل من العصمة الدائمة فى الدماء . وبمقتضى هذا الرأى فإن العصمة تكتسب مؤبدة للجميع : المسلمين الذين يقطنون دار الإسلام، والمسلمين المهاجرين من دار الإسلام إلى دار الحرب ماداموا على إسلامهم والذميين ماداموا يوفون بعهدهم، وتكتسب العصمة مؤقتاً بالأمان .

والذى يظهر لنا رجحان رأى الجمهور فى أن العصمة المؤبدة تكتسب بالإسلام والأمان ورجحان رأى الإمام فى تساوى كل أبناء دولة الإسلام مسلمين وذميين فى عصمة الدماء (١) .

● **أسباب زوال العصمة :**

وهكذا حرم الإسلام العدوان على النفس البشرية بصفة عامة والنفس المؤمنة بصفة خاصة بغير حق فقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ [الإسراء : ٣٣]، ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ [الفرقان : ٦٧] . وهذا الحق وضحه الرسول ﷺ حين قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزانى

---

(١) محمد أبو زهرة – العقوبة فى الإسلام .

والتارك لدينه المفارق للجماعة » [1]، وفى رواية « لا يحل دم أمرىء مسلم إلا من ثلاثة : إلا من زنا بعد ما أحصن أو كفر بعد ما أسلم أو قتل نفساً فقتل بها » [2].

وقال الإمام الشوكانى فى قول رسول الله ﷺ إلا بإحدى ثلاث : مفهوم هذا يدل على أنه لا يحل بغير هذه الثلاث، ولكن سيأتى ما يدل على أنه يحل بغيرها فيكون إجمال وعموم هذا المفهوم مخصصاً بما ورد من الأدلة الدالة على أنه يحل دمَ المسلم بغير الأمور المذكورة فى ذلك الحديث [3] .. وقد حدد العلماء تلك الأمور فى الآتى :

١ – الحربى ٢ – الزانى المحصن ٣ – المحارب ٤ – الباغى ٥ – القاتل عمداً ٦– المرتد .

وهؤلاء هم مهدرو الدم فى الإسلام، وإهدار الدم هو إباحة دم الشخص، وسبب الإهدار هو زوال العصمة . فالأصل أن كل أبناء دار الإسلام دماؤهم معصومة بالدار أو الأمان فى رأى أبى حنيفة، وبالإسلام والأمان فى رأى الجمهور . وتزول العصمة بزوال سببها أو بارتكاب الجرائم المهدرة ، ويشترط فى الجرائم المهدرة أن تكون من جرائم الحدود والقصاص التى عقوبتها القتل . أما الحكم على شخص بالقتل تعزيراً أو ارتكابه لجريمة عقوبتها القتل تعزيراً فإنها غير مهدرة لأن للإمام حق العفو عنها . أما جرائم القتل عمداً فإن العفو فيها لولى الدم فقط : وأما جرائم الحدود فلا يجوز العفو عنها مطلقاً لأنها تمثل حقوق الله ولا شفاعة فى حقوقه سبحانه وتعالى لاسيما إذا وصلت للحاكم . وقد جعلت إقامة الحدود للإمام لأنه أقدر عليها بما له من سلطة وقوة ، ومنعاً للظلم والحيف واستتباباً للأمن والنظام .

والجرائم المهدرة كما يتضح من أنواعها تتعلق بأمور تمس المجتمع وأمنه

---

( ١ ) متفق عليه .   ( ٢ ) أحمد ومسلم .   ( ٣ ) نيل الأوطار – الشوكانى .

وأمانه كما تهدم الفضيلة والأخلاق بين ربوعه بل تصيبها فى مقتل. بالإضافة إلى كونها تتعلق بحقوق أبناء المجتمع من المسلمين وغيرهم مما يستدعى الردع والمواجهة لحماية الحياة والأحياء والأخلاق من أعداء الخير والفضيلة.

وتوضحها كالآتى:

**(١) الحربى:**

وهو الذمى الناقض لعهده مع المسلمين. أو من كان معصوم الدم بأمان مؤقت من رعايا الدولة المحاربة لدولة الإسلام وانتهت مدة أمانه. وقتله يكون واجباً فى ميدان الحرب فى حالة وجوده فى ديار المسلمين للقتل والتخريب وفى حالة الدفاع عن النفس.

**(٢) الزانى المحصن:**

وعقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت لعظم جريرته فى حق المجتمع والفضيلة وذلك لورود الأحاديث الصحيحة بذلك. إلا أن قتله لا يكون إلا بأمر الإمام. فلو بادر أحد وقتله فلا يُسأل عن القتل وإنما يسأل عن تعديه على حق الإمام.

**(٣) المحارب:**

وهو من يرتكب جريمة الحرابة، وهى الإفساد فى الأرض وقطع الطريق وسلب المال بقوة السلاح، وتسقط عقوبته إذا تاب قبل القدرة عليه وهذا مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

**(٤) الباغى:**

وهو من يعمل على تغيير الحكام بالقوة، ويشترط أن يكون لهم قوة ومنعة

وأن يتجمعوا لتنفيذ غرضهم، ودليل قتالهم قول الرسول ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه»[1].

**(٥) من عليه القصاص:**

وهوالقاتل عمداً عدواناً بغير حق نفساً معصومة، وهو مهدر الدم لولى القتيل فقط، ولولى الدم قتله بعد إذن الإمام، ويجوز له العفو عنه بل ويُستحب له ذلك.

**(٦) المرتد:**

وهو المسلم الذى خرج من دين الإسلام - والعياذ بالله - إلى غيره من الأديان الباطلة كالنصرانية أو اليهودية أو المجوسية أو الوثنية أو إلى لادين كالشيوعية والدهرية[2]. وعقوبة الردة ليست إكراهاً على الدين لتوسيع دائرته كما يظن البعض لأنها فى الواقع تضييقاً لدائرة الدخول فيه حيث توجب على كل من يريد الدخول فى دين الإسلام أن يدرسه جيداً، وأن يحدد موقفه بدقة قبل الإقدام على هذه الخطوة. لأن تنازله عنها بعد ذلك يعنى إهدار دمه ولو أنه بقى على دينه الأول ما أكرهه أحد على الإسلام، وهى بذلك عقوبة تعد تضييقاً لباب الدخول فى الإسلام وليست توسيعاً له كما يتبادر لعقول الجهلاء[3].

كما شرعت هذه العقوبة لحفظ النظام الاجتماعى للمسلمين لأن الدين الإسلامى هو أساس النظام الإجتماعى إذ هو دين شامل لكل أمور الحياة فهو دين ودولة وعقيدة وشريعة. كما أن الشريعة الإسلامية تجمع بين العقائد والنظم وتربط بينهما بلا انفكاك. كما أن هذه العقوبة تعد دفعا للفساد الروحى الذى يُشيع الفوضى فى المجتمع ويهدد أمنه ويُسلمه إلى الفرقة القاتلة. لاسيما وأن المرتد دخل فى جسم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها.

ودليل قتل المرتد قول رسول الله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه»[4] وعن معاذ

---

(١) مسلم. (٢) محمد رشدى إسماعيل - الجنايات فى الشريعة الإسلامية.
(٣) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى. (٤) البخارى.

ابن جبل رضى الله عنه فى رجل أسلم ثم تهود - فقال - لا أجلس حتى يقتل « قضاء الله ورسوله فأمر به فقتل » [١]، وقول النبى ﷺ « والتارك لدينه المفارق للجماعة » [٢]، وظاهره كما يقول الإمام الشوكانى - رحمه الله - أن الردة من موجبات قتل المرتد بأي نوع من أنواع الكفر كانت : والمراد بمفارقة الجماعة. مفارقة جماعة الإسلام ولا يكون ذلك إلا بالكفر . لا بالبغى والابتداع ونحوهما. فإنه وإن كان فى ذلك مخالفة الجماعة فليس فيه ترك للدين. إذا المراد الترك الكلى، ولا يكون إلا بالكفر لا مجرد ما يصدق عليه إسم الترك، وإن كان لخصلة من خصال الدين. للإجماع على أنه لا يجوز قتل العاصى بترك أى خصلة من خصال الإسلام. اللهم إلا أن يُراد أنه يجوز قتل الباغى ونحوه دفعاً لا قصداً ولكن ذلك ثابت فى كل فرد من الأفراد فيجوز لكل فرد من الأفراد المسلمين أن يقتل من بغى عليه مريداً لقتله أو أخذ ماله، ولا يخفى أن هذا غير مراد. . بل المراد بترك الدين والمفارقة للجماعة : الكفر فقط كما يدل على ذلك قوله فى الرواية الأخرى « أو كفر بعدما أسلم » وكذلك قوله « أو رجل يخرج من الإسلام » وقوله : رجل يخرج من الإسلام مستثنى من قوله مسلم باعتبار ما كان عليه لا باعتبار الحال الذى قتل فيه فإنه قد صار كافراً . . فلا يصدق عليه أنه امرؤ مسلم » [٣].

**• هل فى العالم الإسلامى ردة :**

ويجب التنبيه هنا فى تكلف وتشدد أولئك الذين شغلوا أنفسهم بتكفير المجتمع المسلم حتى جعلوا من أنفسهم أوصياء على الدين يقتلون كل من ارتد عنه بزعمهم . . ويقول عنهم الشيخ أبو بكر الجزائرى ويتفق معه العلامة الألبانى وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيرهم من علماء الأمة الكرام :

وهذه الظاهرة - أى التكفير - التى بدأت دائرتها فى الإتساع بين أقطارنا

---

( ١ ) متفق عليه. ( ٢ ) متفق عليه وانظر: بلوغ المرام - ابن حجر العسقلانى.
( ٣ ) الشوكاني - نيل الأوطار جـ٧.

الإسلامية يحملها بين الشباب المتحمسين مؤمنون فروا من الكفر فوقعوا فيه لقول الرسول ﷺ «إذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما. فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» [١] يعنى إن كان الوصف بالكفر مطابقاً للموصوف به فذاك وإلا فقد رجع الوصف بالكفر إلى من قاله. وقوله ﷺ فى الحديث المتفق على صحته «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» [٢].

ويقول سماحة الشيخ ابن باز: «فقد اطلعت على الجواب المفيد القيم الذى تفضل به صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى – وفقه الله – المنشور فى صحيفة «المسلمون» الذى أجاب به فضيلته من سأله عن: تكفير من حكم بغير ما أنزل الله من غير تفصيل... فألفيتها كلمة قيمة قد أصاب فيها الحق وسلك فيها سبيل المؤمنين وأوضح – وفقه الله – أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه، واحتج بما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن غيره من سلف الأمة» [٣].

ولكن ذلك للأسف الشديد لم يشفع عند هؤلاء المتكلفين من وصم العالم الإسلامى كله بالكفر إلا من كان على شاكلتهم فيه، وقد صنفوا فى ذلك الكتب والمؤلفات أو خصصوا له أبواباً فى كتبهم تحت عنوان« هل فى العالم الإسلامى ردة؟» قائلين فى الإجابة على ذلك السؤال الظالم المبهت: أن العالم الإسلامى فى حالة ردة أو جاهلية تفوق جاهلية ما قبل الإسلام. أو ترك قليل أو كثير لهذا الدين إلا من رحم ربك!! بل ويقول بعضهم أن هذه الردة قد دخلت كل بيت فى العالم الإسلامى من مشرقة إلى مغربه وأنها طالت فيما طالت العقائد والشرائع والعبادات على حد سواء [٤]. بل وطالت بعض العلماء الأجلاء فهذا ضال مضل

---

(١) البخارى ومسلم وانظر: أبو بكر الجزائرى – القول المبين فى قضية تكفير المؤمنين.
(٢) متفق عليه.
(٣) مجلة التوحيد ربيع أول ١٤١٩هـ.
(٤) أبو الحسن الندوى. ردة لا أبا بكر لها.

وهذا كافر بناء على كلمات لا تحتمل ما فهموه البته مما يتطلب الرجوع للسنة المطهرة.

وهكذا أنساهم تكلفهم وأعماهم تعصبهم أن الإسلام والإيمان يخيمان على ربوع العالم الإسلامى كله بحمد الله تعالى. فالصلوات تقام والزكاة تخرج والصيام يؤدى والحج يقيم شعائره ومناسكه كل عام الملايين . هذا فضلاً عن كلمة التوحيد العاصمة التى تتحرك بها الألسن وينادى بها المؤذنون فى كل يوم خمس مرات فى ملايين المساجد معبرة عن إيمان لا يتزعزع بالله خالقنا وهادينا وعن يقين لا يناقش بالله مميتنا ومحيينا ... بل ونرى المسلمين يتعرضون للقتل والتشريد والتجويع فى كثير من بقاع العالم ولا يصدهم ذلك عن دينهم طرفة عين.

إلا من بعض المعاصى والذنوب التى لا تخرج مرتكيبها عن الملة بأى حال من الأحوال وإنما تنقص من إيمانهم فحسب لاسيما وأن الإيمان يزيد وينقص كما يعتقد أهل السنة والجماعة ، وأن هذه المعاصى لا تنبع عن جحود أو نكران الآوامر أو النواهى الدينية أو نكران ما علم من الدين بالضرورة، وإنما ترتكب بسبب الكسل أو الإهمال أو الضعف أو الجهل وصاحبها غير مستحل لها بل هو متأسف ونادم عليها ومعترف بحرمتها، ولنسمع لعلماء أهل السنة والجماعة وهم الممثلون لأمة الإسلام بحق وهم يقولون «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» [١] بل هذا ما أجمع عليه العلماء فالعبرة بجحود الأمر أو النهى من عدمه.

ولذلك فإن قيل أن الصديق قد قاتل ما نعى الزكاة مع كثرة صلاتهم..

---

(١) ابن أبى العز الحنفى – شرح العقيدة الطحاوية ومجلة التوحيد عدد ربيع الأول سنة ١٤١٩هـ.

(م ٦ – الإعجاز)

فالجواب أنهم أنكروا وجحدوا الزكاة وهى ركن من أركان الإسلام ولم يروا أداءها للصديق مما استوجب قتالهم. بل واتبعوا مدعو النبوة أمثال مسيلمة الكذاب الذى قال: لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يظلمون والأسود العنسى فى اليمن وطليحة فى بنى أسد وسجاح فى تميم مما أكد ضرورة قتالهم لاسيما وأنها سابقة فى بداية مواجهة صحابة رسول الله ﷺ لأمورهم بعد موت قائدهم الموصول بحبل الله فلو تركت بلا مواجهة أو حسم لا ستشرى خطرها حتى يمتد إلى كل فرائض الإسلام وأركانه.. ولو نظرنا إلى مجتمعاتنا الإسلامية لا نجد أحداً يجنحد شيئاً مما أنزل الله كما سبق [1].. ولهذا شرع الإسلام الإستتابة.

وهذا يتطلب من الدعاة جهداً أكبر فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن بالتفهم الكامل لملكات النفوس وأحوال الناس. ومعاملتهم كدعاة لا كأعداء وقضاة، إذ هذا هو منهج الدعوة فى الإسلام مع الكفار والمشركين فما بالنا بالمؤمنين الموحدين ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل: ١٢٥] وذلك حتى يعود العاصى ويئوب القاصى بإذن الله.

كما يجب العودة إلى وسطية الإسلام التى يقول عنها الإمام سفيان الثورى رحمه الله: الحسنة بين السيئتين من الإفراط والتفريط فإذا أفرط الإنسان فقد وقع فى السيئة، وإذا فرط فقد وقع فى السيئة أما إذا إلتزم الجادة والإعتدال فقد نال الحسنة واتبع سنة سيد الخلق محمد ﷺ فهو لا يداهن على حساب الحق وفى نفس الوقت لا يريد التصفيق من أحد باجترائه بغير الحق بل ولا يتصرف بناء

---

(١) بين الصديق والفاروق – بدر محمود الدمهوجى.

على طبيعته الشخصية من حيث الشدة أو اللين، وإنما يسأل أمام أى اختيار عن سنة خير الأنام ﷺ ليقتدى بها ويتبعها حتى لو خالفت اختياره الشخصى وطبيعته، ومن ذلك معاملة الرسول ﷺ للمنافقين الذين حاولوا بعد غزوة تبوك وقوله ﷺ «لا ما أقاموا الصلاة» وموقفه من خالد بن الوليد بعد غزوة مؤته التى يجب أن ندرسها جيداً فى هذه المرحلة . . . وغير ذلك .

**واجب العلماء مع التطرف والإنحلال :**

وأجد من الواجب علىَّ وعلى كل منصف أن نقرر – بعد ذلك – أن أكثر الملتزمين والمتدينين طاقات إيمانية وأخلاقية متميزة وأنهم ثروة للأمة يجب المحافظة عليها وتوجيهها التوجيه السليم من قبل العلماء وضبط حماسها بالكتاب والسنة ثم الإستفادة بهم فى خدمة الإسلام والمسلمين وفى محاربة الأعداء الحقيقيين للأمة، وفى محاورة العلمانيين الذين يطعنون المجتمع فى دينه وشريعته ويوقعون العداوة والبغضاء بين المتدينين ومجتمعاتهم بوصمهم بالتطرف والرجعية . كما يجب أن نجعلهم بديلاً صالحاً لأهل العرى والتهتك والفساد الذين استغلوا فرصة الإختلاف بين بعض المتدينين ومجتمعاتهم واحتلوا مكانهم بل وجعلوا من أنفسهم نجوم المجتمع ومحددى قيمه وحاملى رسالته [1].

---

(١) وما هم فى الواقع إلا مجموعة من المتاجرين بالأعراض والغرائز والأجساد وهذا ما يظهر بوضوح فى الكثير من الأفلام والمسلسلات الهابطة التى تعرض أدب الفساق والمخمورين والتى تضطر الرقابة إلى حذف الكثير من مشاهدها قبل عرضها فى البيوت بل وتمنع عرض بعضها لإسفافه وبذائته كما يظهر فيما حققوه من ثروات طائلة ، ومانتج عن ذلك من ثقافات هابطة وانحلال فى المجتمع كظاهرة الزواج العرفى بين طلبة الجامعات وكمجموعة عبدة الشيطان والشواذ وغيرها . . بل وهى سبب من أسباب التشدد والتطرف فى المجتمع مما يستوجب العلاج بل ويرى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى أن هذه الفئة يجب أن تُعزل وتشعر بالغربة حتى من الأقارب حتى يعودوا إلى الحق وليس التصفيق والتشجيع لأن ذلك يُعينهم على التمادى فى الباطل.

ولكن المحزن هو ما تقوم به بعض البرامج من استضافة الشباب والأطفال وسؤالهم عما يحفظوه من الأغانى وعن عدد الأفلام التى قام بها هذا الممثل أو ذاك، وكأن هذه الأغانى =

## ● قتال الكفار رحمة بالحياة :

وبعد أن نهى الإسلام عن القتل بغير حق وجعله كبيرة الكبائر بعد الشرك بالله ، وضع له الضوابط التى تحكمه « شرع – أى أباح عند الضرورة كما سيتضح – القتال من المؤمنين ضد الكافرين لأن حركة الكافرين فى الحياة حركة مفسدة » ودرء المفاسدة مقدم على جلب المصالح . فهو قتال الأشرار وهو نوع من أنواع التعاون على البر والتقوى . فالذى يفسد فى الأرض ويعيث فى الحياة انحلالاً وفساداً يقاتله المؤمنون حتى تنتهى شروره أو تنتهى حياته لأنهم بذلك يتخلصون من معوق فى الحياة وفى حركة العمران والحق بذلك يريد أن تكون الحياة لمن تصلح الأرض بحياته، والكافرون يعيشون فى الأرض عدواناً وفساداً لأنهم يعيشون على غير منهج، ويأخذون خير الضعيف ليصيرواهم به أقوياء . . والحق قد شرع القتال من المؤمنين ضدهم ليحمى الحياة والأحياء من ظلمهم وغيهم » [1] .

فإذا ما وجه الإنسان القتل لمؤمن هو فى ذاته صالح لإعمار الأرض والحياة يكون بذلك قد ارتكب جناية فى حق الحياة لماذا؟ لأنه بقتله المؤمن قد أفقد الحياة إنساناً حياً صالحاً كان من الممكن أن يثرى بحركته إعمار الأرض، ولا شك أن مواجهة الأشرار بالقوة والردع تعمل على كبح جماح عدوانهم، وتعمل فى نفس الوقت على إلزامهم جادة الطريق كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [ البقرة : ٢٥١ ] .

---

= الراقصة والأفلام العارية هى أغلى من أبطال أكتوبر أو من العلماء أو القادة الكرام وكأننا فى أوروبا وليس فى مصر بلد الأزهر الشريف والعلماء والأبطال العظام وكأننا ننقذ أنفسنا من التطرف لنلقى بها فى الإنحلال .

فأرجو لبلدنا الحبيب مصر، ولكل بلدان المسلمين أن نستعيد الثقة والمودة وأن نتعاون فى كل ما فيه وحدة وقوة ورفعة لديننا وبلادنا ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [ الأنفال : ٤٦ ] وأن نستخدم الحوار والتفاهم فى حل مشكلاتنا وأن نتحلى أيضا بادب الأختلاف لأن العنف والمواجهة ليس وراءهما إلا الضعف وذهاب الريح وشماتة الأعداء وتمكنهم مثلماحدث على مر التاريخ والأزمان . والله ولى التوفيق .

( ١ ) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

ولهذا يأمر الحق تبارك وتعالى المؤمنين بالإعداد الجيد لأعدائهم من الكافرين حتي يقيموا معهم توازناً دقيقاً قوياً – استراتيجياً – يحول دون اعتداءاتهم والاقتتال معهم لاسيما وأن الأشرار من الكفار يتميزون بحدة الطباع وقسوة القلوب لاسيما مع المؤمنين المسلمين، ومن هنا كانت محاولة الإسلام فى تربية أجياله على الوعى والحمية الإيمانية حتى لا يفقدهم التطور والتحضر، ولا تسلبهم المدنية قوتهم الدافعة وطاقتهم المحركة التى استفادوها من بيئتهم الأولى التى يصفها ابن خلدون بقوله: «البداوة سبباً فى الشجاعة لهذا كان هذا الجيل الأول أشد شجاعة من الجيل الآخر فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما فى أيدى غيرهم من الأمم» (١). وكان الحق تبارك وتعالى أراد أن يعوضهم عن عصبيتهم تلك بقوة دافعة أخرى تنبع من عقيدتهم وإيمانهم فقال لرسوله ﷺ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ [الانفال: ٦٥] ثم حدا بالمؤمنين نحو الإعداد فقال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وعلينا أن نفهم أنه إعداد حقيقى سلاحاً وعقيدة لأن كلمة «ما استطعتم» صيغة مبالغة والله تعالى يريد أن ينتصر الحق الممثل فى عناصر بشرية على الباطل الممثل فيها. بعون الله وتوفيقه فى كل حال، وذلك حتى لا نخوض معركة إلا ونحن مستعدون لها تماماً.

**● الدعوة أولى من القتال:**

ورغم تشريع الله القتال ضد الكافرين إلا أنه سبحانه جعل الرغبة فى دعوتهم إلى الإيمان والإصلاح أحب إليه من قتالهم. لأن فى إيمانهم خير كبير لهم ولمجتمع الإيمان، حيث ينقذهم من الضلال إلى الهدى ومن الشر إلى الخير ومن النار وغضب الله وسخطه إلى الجنة ورضى الله ورحمته. مما يؤدى إلى انتقاص

---

(١) ابن خالدون – المقدمة.

مجتمع الكفر وأرضه لصالح مجتمع الإيمان وأرضه ، وذلك بتحويل طاقتهم وقوتهم فى مسار مجتمع الإيمان لتكون معه بعد أن كانت عليه .

كما أن دعوة مجتمع الإيمان لهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة يعطيه صفة الرحمة ويثبتها له وهى التى قال عنها رسول الله ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (١) وقال « من لا يرحم لا يُرحم »(٢) . كما يمنح إيمان كل فرد كافر المتسبب فى إسلامه من المؤمنين درجة عظيمة كما قال الرسول الكريم ﷺ لسيدنا علىّ رضى الله عنه فى غزوة خيبر حينما سأله : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . . أى مسلمين؟ فقال : أنفذ عليهم رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى بك الله رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »(٣)، ولكل هذه الفوائد فى إرجاء القتال إلى حيث لا يجدى غيره كانت دعوة الله جل وعلا إلى السلام طالما جنحوا له ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [ الأنفال : ٦١ ] شريطة أن يكون ذلك نابعاً من القوة لا من الوهن والضعف ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [ محمد : ٣٥ ] .

ومن هنا كان صلح الحديبية الذى عقده المصطفى ﷺ مع كفار قريش، والذى يرى فيه البعض دليلاً على بعد نظر من رسول الله ﷺ لأنه بمثابة اعتراف من قريش بدولة الإسلام وقوتها . إلا أننى أضيف إلى ذلك أن اختيار الرسول ﷺ للصلح والسلام ليس لهما غاية إلا السلام – أى أنه اختيار حقيقى – ولكنه السلام القائم على شروط لا تضر بالإسلام ودعوته بل هو خطوة من خطوات تلك الدعوة . فالرسول يريد أن يحافظ على دماء صحابته طالما وجد سبيلاً إلى ذلك،

---

( ١ ) الترمذى وصححه.  ( ٢ ) الشيخان .
( ٣ ) أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم .

ولا يريد التسرع فى قتل المشركين لعل الله يهديهم إلى الإسلام فيصبحوا له بدلاً من ان يكونوا عليه مثل سيدنا عكرمه وغيره . بل مثل قبيلة ثقيف . أو أن يُخرج الله من ظهورهم من يقول : لا إله إلا الله .

فإن لم يوجد سبيل إلا الحرب فاهلاً بإحدى الحسنيين فهم ولا ريب يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة، وذلك كما قال القائل .

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن حين أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع لصرفه المتقلب

● **مشروعية الحرب فى الإسلام :**

والواقع أن الإسلام شرع القتال لسببين، وهما أولاً : رد الاعتداء، وثانياً إزالة العقبات من طريق الدعوة . فالله عندما أذن للمسلمين بالقتال : قال : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (١) .

فالهدف الأول من الحروب فى الإسلام هو دفع الأذى وتأمين الحدود ضد أى اعتداء خارجي، والتمهيد لنشر دين الله بالحسنى والحجة والبرهان ما تيسر لذلك سبيل ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [ النحل : ١٢٥ ] فإذا قامت قوة طاغية وجعلت من نفسها عقبة تحول دون الدعوة إلى دين الله فى الأرض فلابد من إزالتها عن طريق الدعوة بالحسنى أولاً، فإن أبت فلابد إذن من قتالها ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [ البقرة : ١٩٣ ] .

---

( ١ ) وانظر محمد أبو زهرة – خاتم النبيين .

فالحرب فى الإسلام هى حرب ضد الأشرار وهى من قبيل التعاون على الخير ودفع الأثم والعدوان . فحروب الرسول والراشدين من بعده كانت إما للدفاع عن الدعوة ضد المعتدين، وإما لدفع الأمراء والحكام الغاشمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ويمنعون دعوة الإسلام من الوصول إلى الناس. بل وينفقون أموالهم فى سبيل ذلك ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ** ﴾ [الأنفال : ٣٦ ] .

ومن هنا كانت الحرب هي السبيل الوحيد لإزالة أعداء التوحيد وحرية العبادة ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٥١ ] بعد إزالة هؤلاء الظالمين من طريق الدعوة واتضاح الرشد من الغى أمام الناس فى المجتمع يسود مبدأ ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقر: ٢٥٦ ] . وهذا مقيد بشرط : وهو الخضوع والإذعان لحكم الإسلام وعدم صد من لم يؤمن عن الدخول فى دين الله وعدم العداء للمسلمين. ولهذا الخضوع دليل يقوم عليه وهو الجزية لأنها دليل على المشاركة فى بناء المجتمع الإسلامى. وهى مقابل الزكاة التى يدفعها المسلمون ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٢٩ ] . فالحرب تنتهى بخضوع الكتابى ودفعه الجزية لأنها دليل إنتقاله من كونه محاربا إلى كونه معاهدا وخاضعا للدولة الإسلامية . بل ومشاركا فى بنائها .

والجزية ليست للإذلال كما فهم البعض من ظاهر لفظ « وهم صاغرون » وإنما هى لأمرين :

**أولهما** : إظهار الطاعة للحاكم المسلم غير مضارين فى دينهم أو

عقائدهم ولامرهقين فى أمرها، وثانيهما : أنها فى مقابل الزكاة التى يدفعها المسلمون.وهم يدفعونها ليساهموا بها فى بناء المجتمع الذى يعيشون فيه ويستفيدون من مرافقه وخدماته. فالزكاة والجزية والخراج هم دخل الدولة الإسلامية ، وتنفق منها على المرافق العامة للدولة الإسلامية والتى هى للمسلم والمعاهد على حد سواء [1].

كذلك فإن الجزية ترفع عن الكتابى مشقة القتال والدفاع عن النفس والمجتمع. تلك المهمة الشاقة التى يتحملها المسلمون وحدهم. فالجهاد فى الإسلام يقتصر على المسلمين وحدهم ويكفى لنثبت أن الجزية ليست للإذلال أن نذكر ذلك الخبر الذى أورده الواقدى من أنه لما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله خيبر. وفدك ووادى القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية وقدموا أموالهم بأنفسهم، وكذلك ما حدث عند فتح مصر عندما طالب بنيامين كبير القبط فى مصر من أتباعه مساعدة المسلمين على فتحها وذلك بعد أن سمع وعرف سيرة المسلمين مع المسيحيين فى بلاد الشام.

فإذا قال إنسان إنه يجب القتال ضد الكفار وأهل الكتاب حتى النهاية فإما الإسلام وإما القتال. فنقول أن هذا الكلام مناقض لمبادىء الإسلام ولحركة التاريخ الإسلامى ولأحداث الفتوحات. كما أن من شأنه أن يوجد مجموعات من المنافقين داخل المجتمع الإسلامى أمثال عبد الله بن سبأ الذى أضرم نار الفتنة فى زمن صحابة رسول الله ﷺ، وذلك لأن الضمير والقلب لا يستطيع أحد أن يتحكم فيهما إلا الله عز وجل، وبالتالى فإن الإنسان وإن استطاع أن يسيطر على أجساد الآخرين ويخضعها لإرادته فإنه لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يسيطر على قلوبهم ويخضعها لمشيئته.

---

(١) محمد أبو زهرة - خاتم النبيين.

والله لا يريد أجساماً تخضع بالقهر ولكنه يريد قلوباً تخشع بالحب لأنه لا يريد المزيد من المنافقين والوصوليين الذين لا يزيدوه إلا ضعفاً وخبالاً ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الممتحنة: ٧ – ٩][١].

وبهذا نجد أن بواعث القتال والحروب فى الإسلام ليست البغى والعدوان أو الاستخفاف بقيمة الإنسان وحياته وإنما هى لصد العدوان وكف الظلم وتحرير الإنسان، وقد جعلها الإسلام كما جعل القصاص فى الحالات الفردية نوعاً من أنواع القضاء على الجرائم الجماعية بما تؤدى إليه من توازن للقوى بين المجتمعات والدول.

ومن كل ذلك يتضح لنا معنى القتل فى الشريعة الإسلامية واختلافه عن الموت وأنواعه عند الفقهاء. كما تتضح لنا المكانة البشعة التى وضعه التشريع الإسلامى فيها حيث جعله أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله ويتضح لنا كذلك تحريم الإسلام للإنتحار لأنه ينافى إرادة الله فى إعمار الأرض وعبادته والرضاء بقضائه. كما تتضح لنا أسباب اكتساب العصمة وأسباب زوالها عند الفقهاء . ومشرعية القتال فى الإسلام..

---

(١) انظر : بين الصديق والفاروق – بدر محمود الدمهوجى.

# ولكم في القصاص حياة

## ويحتوى على مباحث:

**المبحث الاول :** تشريع الله رحمة .

**المبحث الثانى :** تشريع القصاص .

**المبحث الثالث :** القصاص فى الحالات الجماعية .

**المبحث الرابع :** القصاص فى الحالات الفردية .

**المبحث الخامس :** الترغيب فى العفو .

**المبحث السادس :** ما جاء فى القسامة .

**المبحث السابع :** المساواة فى القصاص .

**المبحث الثامن :** ولكم فى القصاص حياة .

● **تشريع الله رحمة :**

ولأن الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ومبدعه ومحدد غايته فهو الأعلم بما ينفعه ويحفظ عليه حياته وبما يضره ويفسد عليه وجوده، وهو الأعلم كذلك بما ينمى ملكات الخير والصلاح فيه وبما يقتلها فى نفسه، وهو الأعلم أيضاً بما يحفظ عليه إنسانيته ويرقيها وبما يسلبها منه ويهبط به إلى مصاف الحيوانية والوحشية، وفوق كل ذلك فهو الرؤف الرحيم بعباده: فقد أرسل إليهم الأنبياء والرسل بما يضمن لهم الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ليس بقدرات البشر فى التقنين والتشريع ولكن بقدرات رب البشر العليم الحكيم ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٠] وحق الله تعالى فى التشريع ليس إفتئاتاً على حق أحد ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ** ﴾ [النحل: ٥١، ٥٢]. والناظر إلى مبادىء الإسلام وتشريعاته يعلم لأول وهلة أنه لا يبغى سوى مصلحة الإنسان، فاستقراء كل باب من أبواب الفقه والبحث فى كلياته وتفصيلاته ومقاصده إنما يقول: أن أحكام الإسلام إنما قصد بها تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم، وكثيراً ما تأتى الأحكام الشرعية مُعللة بالمصالح، ولم يَفُت أبداً عقل فقهائنا الأجلاء تلك الحقيقة بل داروا معها حيث دارت فارجعوا كل أحكام الشريعة إلى مبدأ واحد وهو تحقيق المصالح ودرء المفاسد وصنفوا فى ذلك الكتب والمؤلفات.

ولتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم جعل الإسلام من أول أهدافه دعم الفضائل وقمع الرذائل بين الناس فى المجتمع وذلك بعد الأخذ بأسباب التهذيب والتربية وترسيخ اليقين بالله والمراقبة له حتى يفعلوا الخير ويتركوا الشر من تلقاء بأنفسهم واستجابة لداعى الله تعالى والرغبة فى طاعته، ولوجود بعض الجبلات التى لا تجدى معها الموعظة ولا تأخذ بيدها الدعوة بالحسنى فقد شرع الحق تبارك وتعالى القصاص لردعهم مع بقية العقوبات.

○ **والعقوبات هي:**

موانع قبل فعل الذنب وزواجر بعد فعله. أى أن العلم بشرعيتها يمنع من الإقدام على الفعل، وإيقاعها بعده يمنع من العودة إليه [1]، وعرفها الماوردى بقوله: الحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر لما فى الطبع من مخالفة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة. ليكون ما حذر من محارمه ممنوعاً، وما أمر به من فروضه متبوعاً فتكون المصلحة أعلم والتكليف أتم. قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ يعنى فى استنقاذهم من الجهالة وانتشالهم من الضلالة، لكفهم عن المعاصى وحثهم على الطاعة، وإذا كان كذلك فالزواجر ضربان حد وتعزير» [2].

وجاء فى فتاوى ابن تيمية: العقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الله بالخلق وإرادة الإحسان إليهم، ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة بهم كما يقصد الوالد تاديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض [3].
والواقع أن للعقوبة غرضان: غرض قريب وهو إيلام المجرم لمنعه من العودة إلى ارتكاب الجريمة ومنع الغير من الاقتداء به، وغرض بعيد وهو حماية مصالح المجتمع.

● **تشريع القصاص ومعناه:**

وقد جعل الحق تبارك وتعالى العقوبة فيما يخص الاعتداء على الإنسان بالقطع أو القتل أو الجرح هى القصاص فى العمد فقال تعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ**

---

(١) فتح القدير جـ٤ وابن عابدين جـ٣.
(٢) الماوردى – الأحكام السلطانية ص ٢١٣
(٣) فتاوى ابن تيمية ص ١٧١.

عليكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩]، وقال ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يفتدى وإما أن يقتل» [١]، وقال: «من أصيب بدم أو خَبَل – جراح – فهو بالخيار بين إحدى ثلاث: إما أن يقتص أو يأخذ العقل أو يعفو. فإن أراد رابعة فخذوا على يديه» [٢]وغير ذلك كثير.

فكل هذه النصوص تأمر بالقصاص فى القتلى والجرحى ولكنها تجعله حقاً لصاحبه – وليس حقاً لله كالحدود – فإن شاء أمضاه وإن شاء تركه والله يحب المحسنين.

**ما القصاص:**

القصاص هو المساواة والمماثلة وهو من قص الأثر فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقُص أثره فيه ومُشى على سبيله ذلك. قال تعالى فى تتبع الأثر «فارتدا على آثارهما قصصا» والقصاص هو تتبع الدم بالقود. قال تعالى «والجروح قصاص» [٣]. ومن معانى القصاص اللغوية: المساواة بإطلاق وهو فى اصطلاح الفقهاء المساواة بين الجريمة والعقوبة وهو شريعة النبيين أجمعين.

---

(١) متفق عليه. (٢) أحمد وأبو داود. (٣) القرطبى جـ١.

## ○ القصاص فى الحالات الجماعية :

كان الثأر متفشياً فى مجتمع العرب قبل الإسلام بصورة جماعية فكثيراً ماكانت تنشب بين القبائل الحروب أخذاً بالثأر، ولم تكن بينهم سلطة مركزية تأخذ الحقوق وتفرض إرادتها على من يعتدى على الآخر، وإنما كان لكل قبيلة رئيس مرهوب الجانب ومُتهيب من الجميع ويضيق نفوذه ويتسع بمقدار ثراء القبيلة ووفرة عدد ابنائها وقوتهم وشجاعتهم وإقدامهم وكان افراد القبيلة جميعاً يذوبون فى بوتقة واحدة. فإذا اعتدى أحد على أحد أفراد القبيلة هبت جميعاً لنجدته، وقامت قبيلة المُعتدى تدافع عنه وتنصره وتحميه وفى ذلك قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

فقبل الإسلام كان الثأر والانتقام يتم بصورة جماعية ، ونستطيع أن نضرب مثلاً على ذلك بحرب البسوس التى استمرت بين قبيلتى بكر وتغلب أربعين عاماً على أثر قتل جساس بن مرة لوائل بن ربيعة - كليب - فارس تغلب وسيدها ثأراً لناقة خالته البسوس. لتبدأ الحرب التى أقسم المهلهل فيها ليأخذن بثأر كليب حتى لا يبقى فى بكر موضع لثأر، وحتى لا يبقى عضو منه أو جارحة لا يثأر لها بل ليأخذن بثأر الشسع الذى كان يربط به نعله فيقتل به عزيزاً منهم وسرياً من سراتهم[١]. فقال:

خذ العهد الأكيد على عمرى بتركى كل ما حوت الديار
وهجرى الغانيات وشرب كأس ولبسى جبة لا تستعار
ولست بخالع درعى وسيفى إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر فلا يبقى لها أبداً آثار

واعتزل هذه الحرب الطاحنة التى راح ضحيتها مئات الأبرياء. الحارث بن عباد فلم يشترك فيها - رغم قرابته لبكر - ولكن مهلهلاً قتل ابناً للحارث اسمه

---

(١) البهنسى - العقوبة فى الإسلام.

بجير وكان الحارث قد أرسله إليه ليقتله بكليب أو يعفو عنه لتنتهى بذلك الحرب بين الحيين. لا سيما وأن بجيراً ابن أخت المهلهل. ولكنه قتله وهو يقول: بؤبشسع نعل كليب!!. مما أغضب الحارث بن عباد حتى اندفع للثأر قائلاً:

| | |
|---|---|
| قل لأم الأغر تبك بجيراً | حيل بين الرجال والأموال |
| فلعمري لأبكين بجيراً | ما أتى الماء من رؤوس الجبال |
| لهف نفسي على بجير إذا ما | جالت الخيل يوم حرب عضال |
| قتلوه بشسع نعل كليب | إن قتل الكريم بالشسع غال |
| يابجير الخيرات لا صلح حتى | تُملأ البيد من رؤوس الرجال |
| لم أكن من جناتها علم الله | وإنى لحرها اليوم صال |

ثم دخل المعركة ليطول أمدها وتكثر ضحاياها من الأحرار والعبيد والرجال والنساء وكل ذلك فى قتل رجل واحد.

وفى ذلك الزمن الجاهلى كانت كل قبيلة يُقتل منها عبداً تُصَعّد مسألة الثار وتقتل به حراً، وكذلك إذا قتل لها أنثى فإنها تقتل بها رجلاً. والحق سبحانه وتعالى يريد أن يحسم قضية الثار حسماً تدريجياً لهذا جاء بهذا الحكم الذى يضمن المساواة وعدم الإسراف فى القتل بذلك التصعيد فقال تعالى «الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى».

وفى صعيد مصر مازلنا نعانى من الغفلة فى تطبيق هذا الحكم. فحين يقتل رجل من قوم فهم لا يثأرون من القاتل وإنما يذهبون إلى أكبر رأس فى عائلته ليقتلوه لأن الذين يأخذون الثار يريدون النكاية الأشد، وقد يجعلون فداء المقتول عشرة من العائلة الأخرى، وقد يمثلون بجثثهم ليتشفوا بذلك وكل ذلك إسراف محرم فى دين الله وغير ملائم للقصاص، ويؤدى إلى توقد نيران العداوة ويجعلها لا تخمد أبدا، ولذلك فالحق يرد أمر الثار إلى حده الحقيقى. فإذا قتلت قبيلة عبداً فلا يصح أن تصعد القبيلة الأخرى الأمر فتأخذ بالعبد حراً وإنما تأخذ به عبداً كما قال تعالى: «والعبد بالعبد» وكذلك فى الحر والأنثى.

إذن الحق بهذه الآية يشرع أمراً يخص تلك الحروب الجماعية القديمة وما كان يحدث فيها من قتل جماعى، وما ينتج عنها بعد ذلك من مغالاة فى الثأر، وهذا هو التشريع التدريجى من الله عز وجل لعباده المؤمنين » (١).

وذكر ابن كثير فى سبب نزول هذه الآية عن سعيد بن جبير قال : « إن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية . فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر فى العدة والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يُقتل بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ثم قال ابن كثير وهى منسوخة نسختها « النفس بالنفس » وهكذا روى عن أبى مالك أنها منسوخة بهذه الآية (٢).

● **القصاص فى الحالات الفردية :**

ولكن الناظر إلى سياق الآيتين يعلم أن كلاً منهما تشرع لوضع يختلف عن وضع الآخرى، وأن لكل منهما مجالاً غير مجال الأخرى لأن آية « النفس بالنفس » مجالها مجال الاعتداء الفردى من فرد معين على فرد معين، أو من أفراد معينين على فرد أو أفراد معينين كذلك فيؤخذ الجانى مادام القتل عمداً وهكذا يصبح القصاص فى قتل النفس يتم بنفس أخرى فلا تفرقة بين العبد والحر أو الأنثى بل مطلق نفس بمطلق نفس، وها هو الحق سبحانه وتعالى يواجه بتقنين تشريع القصاص قضية يريد أن يميت فيها لدد الثار وحنق الحقد : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [ المائدة : ٤٥ ] . فلا تمييز ولا عنصرية ولا طبقية ولاسيد ولا عبد

---

( ١ ) تفسير الشعراوى جـ ١٠ . ( ٢ ) تفسير ابن كثير جـ ١

ولا غنى ولا فقير.. كلهم سواء أمام شريعة الله فكلهم من نفس واحدة فى خلقة الله ومن عنصر واحد، لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا المبدأ العظيم الذى جاءت به شريعة الله هو الإعلان الحقيقى الكامل لميلاد الإنسان ومجتمع الإنسان الذى يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة.. أولاً فى التحاكم إلى شريعة واحدة وقضاء واحد لا يجامل ولا يحابى، وثانياً فى: المقاصة على أساس واحد وقيمة واحدة وهى شرع الله.

والقصاص على هذا الأساس العظيم هو العقاب الرادع الذى يجعل من يتجه إلى الاعتداء على النفس بالقتل أو بالجرح أو بالقطع يفكر مرات قبل الإقدام على ما حدثته به نفسه وما زينه له اندفاعه وهو يعلم أنه مأخوذ بالقتل إن قتل دون نظر إلى نسبه أو مركزه أو طبقته، وأنه مأخوذ بمثل ما أحدث من الإصابة. فإذا قطع يداً أو رجلاً قطعت يده أو رجله وإذا أتلف عيناً أو أذناً أو أنفاً أو سناً.. أتلف من جسمه مثل العضو الذى أتلفه وذلك هو القضاء الذى تستريح إليه الفطرة، والذى يذهب بحزازات النفوس وجراحات القلوب، والذى يسكن فورات الثأر الجامحة الذى يقودها الغضب الأعمى وحمية الجاهلية.

● **الترغيب فى العفو:**

وكمنهج الله دائماً يعطى الحق تبارك وتعالى العدل ثم يرغب صاحبه فى الفضل. فها هو قد أعطى لولى الدم الحق فى أن يقتص من القاتل ليشفى غيظ نفسه ولكنه يرغبه بعد ذلك فى الفضل والعفو معطياً عليهما جزيل الثواب وعظيم الأجر، وقد جعل الحق تبارك وتعالى الأسوة والقدوة فى ذلك هو خير من خلق الخلاق سيدنا محمد ﷺ: فبعد غزوة أحد يبحث النبى ﷺ عن عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله فلم يجده بين الأحياء فيبحث عنه بين الموتى فيجده شهيداً فى سبيل الله، ولكنه قتل ومُثل بجسده حتى أن أحدهم قد بقر بطنه وأخرج كبده وحاول أن يمضغها فلم يستطع أن يستسيغها فجدع أنفه وقطع أذنيه، وتركه هكذا بين الأموات ثم انصرف.

وهنا أخذت الرسول ﷺ حميته وقال: آه يا عم والله لم أصب بمثلك أبداً، ولم أقف موقفاً هو أغيظ لى من هذا الموقف. فوالله لو نصرنى الله عليهم لأمثلن بسبعين منهم، وهنا قال الصحابة رضوان الله عليهم: والله لو أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مُثلة ما مُثلت بأحد من العرب قط وفى تلك اللحظة القاسية ينزل الوحى الإلهى على قلب الرسول ﷺ بقول الله عز وجل ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨]. وذلك ليرده إلى العدل ثم يرغبه فى الفضل ثم يأمره بالصبر والعفو لأنه ﷺ الأسوة والقدوة فى كظم الغيظ والعفو والإحسان.. ولذلك يقول المصطفى ﷺ: «إذن نصبر ولا نعاقب» [1].

وإذا تأملنا قوله تعالى: «فمن عُفى له من أخيه شىء» نلحظ النقلة من غليان الدم والرغبة فى الثأر إلى العفو ثم المبالغة فى التحنن.. كأنه يقول: لا تنس الأخوة الإيمانية «من أخيه» فساعة يقول الحق كلمة «أخيه» يُذكر ولى الدم بالأخوة الإيمانية التى تجمعه حتى بالقاتل وكأنه يحثه على أن يعفو ويصفح ولا ينسى أخوة الإيمان. فصحيح أنه ولى المقتول لأنه من لحمته ونسبه، ولكن الله أراد أن يجعل أخوة الإيمان فوق أخوة الدم، وقد أورد الحق الأخوة هنا لترقيق المشاعر، ولينبه أهل القاتل والقتيل جميعاً أن القتل لا يعنى انتهاء الأخوة الإيمانية لأنها لا تُقطع أبداً.

ولنا أن نلاحظ أن الحق يرفعنا إلى مراتب التسامى فيذكرنا أن عفو واحد من أولياء الدم يقتضى أن تسود قضية العفو فلا يُقتل القاتل، وبعد ذلك لننظر إلى دقة الحق فى تصفية القلوب حين يضع الدية موقع القصاص بالقتل فهو

(١) السيرة لابن هشام، وابن كثير فى تفسير هذه الآية.

يطلب ممن يتحمل الدية أن يؤديها بإحسان وعلى أهل القتيل أن يتقبلوها بالمعروف، وليس لهم الحق فى القصاص بعد ذلك، ولكن تنتهى المسألة وتحقن الدماء، ولا ريب أن تمكين ولى الدم من القاتل يؤدى إلى شفاء غيظه حتى لا يترك ذلك فى نفسه أى ضغينة أو بغضاء لأن حياة القاتل فى هذه الحالة هبة منه، وثمرة من ثمرات إحسانه، والثارات الموجودة فى المجتمعات المعاصرة سببها أننا لا نمكن ولى الدم من القاتل. بدليل أنه إذا ما قدر قاتل على نفسه وذهب إلى أهل القتيل ودخل عليهم بيتهم وبالغ فى طلب العفو منهم والاعتذار لهم فإن المألوف والمعتاد أن يعفوا عنه وذلك لأنهم تمكنوا منه وأصبحت حياته بين أيديهم، وفى العادة تنقلب العداوة إلى مودة حيث يظل القاتل مديناً بحياته للذين عفوا عنه[١].

كما يشرع الحق تبارك وتعالى الدية لأنها نوع من العقاب للجانى على ما ارتكبت يداه، كما أنها تعمل على بسط النفع وقبض الضر بالنسبة لأهل المجنى عليه فساعة يأتى الإنسان خبر موت عزيز عليه فإنه ينقبض وساعة يأتيه – بعد ذلك – خبر حصوله على جزء من الدية فإن النفس تنبسط لاسيما وأنهم تأثروا بفقده.

وقد رغب الرسول ﷺ فى العفو الذى فعله هو كما سبق فى أحاديث كثيرة منها مارواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا»[٢]. وقال «ما من رجل يصاب بشىء فى جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط به عنه خطيئة»[٣] وقال: «ثلاث والذى نفس محمد بيده إن كنت لحالفاً عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغى بها وجه الله عز وجل إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا يفتح عبد باب

---

(١) انظر تفسير الشعراوى جـ ١٠
(٢) مسلم.
(٣) الترمذى وابن ماجة

مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر »(١)، وعن أنس رضى الله عنه قال : « ما رفع إلى رسول الله ﷺ أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو »(٢). والعفو ثابت بالأحاديث الصحيحة ونصوص القرآن ولا خلاف فى فضيلة العفو فى الجملة.

**ما جاء فى القسامة :**

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار عن رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار : أن النبى أقر القسامة على ما كانت عليه فى الجاهلية »(٣). كما روى « أنه : انطلق عبد الله بن سهل ومُحيصة بن مسعود إلى خيبر وهو يومئذ صلح فتفرقا . . فأتى محيصة إلى عبدالله بن سهل وهو يتشحط فى دمة قتيلاً فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبى ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال : كبر كبر وهو أحدث القوم فسكت فتكلما . قال أتحلفون وتستحقون قاتلكم أو صاحبكم . فقالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر. قال : فتبرئكم يهود بخمسين يميناً . فقالوا كيف نأخذ أيمان قوم كفار؟ فعقله النبى ﷺ من عنده »(٤) وفى رواية فقال رسول الله ﷺ : يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته . فقالوا : أمر لم نشهده كيف نحلف؟ قال : فتبرئكم يهود بأيمان خمسين منه . قالوا : يا رسول الله قوم كفار . . . وذكروا الحديث بنحوه »(٥).

فمن المقررات الشرعية أنه لا يبطل دم فى الإسلام . فلا تذهب جريمة قتل بلا عقوبة . أو بالأخرى من غير أن يقتص من الجانى أو تعويض أسرة المجنى عليه . فالدية أمر ثابت فى الإسلام لورثة المجنى عليه ولو من بيت المال.

ولا يصح أن يقال أن الجناية تقيد ضد مجهول، أو تحفظ لعدم معرفة الجانى فيذهب الدم هدراً، ويسكت القوامون على الحسبة كان لم يكن إنسان له حق

---

(١) أحمد . (٢) البخارى ومسلم . (٣) مسلم .
(٤) متفق عليه . (٥) متفق عليه .

الحياة قد ذهب وكان له على المجتمع حق الحماية . ليس هذا فى الإسلام دين الأمن وحقوق الإنسان، وعلى القاضى أو والى الحسبة أن يتحروا أو يبحثوا حتى يصلوا إلى الجانى . فإن عجزوا كانت القسامة . وهى على أظهر الأقوال فى الفقه الإسلامى وكما حددتها الأحاديث السالفة الذكر : أن يحلف خمسون من أهل القرية التى حدث فيها القتل أو أهل الحى الذى كان فيه : أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلاً . فيحلف كل واحد منهم على ذلك ويشترط أن يكونوا عدولاً . وإنه غالباً بعد حلف هذه الأيمان المغلظة أن يُعرف القاتل فإنه لا يحدث غالباً قتل فى قرية أو حى إلا إذا كان القاتل معلوماً لبعضهم ولكنهم يمتنعون عن الشهادة لأن أحداً لم يدعهم . أو إيثاراً للعافية، أو خوفاً من الجانى وأعوانه ، وفى هذه الأيمان الإجبارية حمل على النطق إن كان فيهم من يعلم، وبعد حلفهم لابد من الدية وهى إما أن تفرض على أهل القرية وإما أن تفرض على الدولة فى بيت مال المسلمين، وفى ذلك احترام كبير لدم الإنسان سواء أكان مسلماً أو غير مسلم، فإنه لا يذهب دم شخص مستظل براية الإسلام هدراً قط[1] .

● **المساواة فى القصاص :**

بنى القصاص على أساس المساواة والمماثلة ، ولتلك المساواة شعب ثلاث هى :

١ – المساواة بين الجريمة والعقوبة بحيث يعرف المجرم أنه سينال من العقوبة مثل ما أذى به البرئ من قتل أو قطع أو كسر أو جرح .

٢ – المساواة بين الناس فى الأنفس فليس هناك نفس شريف وأخرى نفس ضعيف، ولا نفس حاكم أو نفس محكوم بل الجميع سواء . فربما تُفرق بينهم الأحوال ولكن لا يفرق بينهم الشرع والحق . كما قال عليه السلام : « كلكم لآدم

---

(١) محمد أبو زهرة – العقوبة فى الإسلام . ونيل الأوطار جـ٧ .

وآدم من تراب » وكما قال ﷺ « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم [1] » . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

ومؤدى آراء العلماء : أن القصاص يستوفى حتى من الحاكم باتفاق الفقهاء .

وقد انعقد على ذلك إجماعهم، وذلك لأن القصاص من حقوق العباد التى لا تقبل السقوط إلا بإذن من صاحبها، والأسوة فى ذلك رسول الله ﷺ الذى دعا إلى القصاص من نفسه وقال : أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شانى . ألا وإن أحبكم إلىّ من أخذ منى حقًا إن كان له أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس [2] » وهذا هو عدل الإسلام الذى يسوى بين الراعى والرعية ويجعل الجميع فى حكم الله سواء .

٣ – المساواة فى الأطراف بالنسبة للسلامة أو لا . فلا تقطع اليد السليمة فى مقابل اليد الشلاء، وأيضا بالنسبة لموضع القصد فلا تقطع اليد اليمنى فى نظير اليسرى، ويلاحظ أنه إذا تعذرت المساواة حلت محلها الدية مع التعزير إن كان هناك ما يسوغه، وما يسوغه ثابت دائمًا إذا كانت الجريمة عمدية .

( أ ) الرجل والمرأة :

عن أنس رضى الله عنه أن يهودى رّضَ رأس جارية بين حجرين . فقيل لها من فعل بك هذا . . فلان أم فلان حتى سُمى اليهودى فأومات برأسها فجئ به فاعترف فأمر النبى ﷺ فرُض رأسه بحجرين [3] »، وقد عنون الإمام البخارى أحد أبواب كتاب الديات بقوله : باب القصاص بين الرجال والنساء، وقال أهل العلم إنه يُقتل الرجل بالمرأة وإليه ذهب الجمهور لأن نفس المرأة كنفس الرجل،

---

( ١ ) أحمد أبو داود .　　( ٢ ) تاريخ ابن الأثير جـ ٢ .　　( ٣ ) رواه الجماعة .

والمساواة التى أوجبها القصاص توجب أن يُقتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل للمساواة.

● **العبيد والأحرار:**

لقد عمل الإسلام جاهداً على القضاء على الرق والعبودية والمساواة بين سائر الخلق ووضع لذلك الضمانات الكفيلة بإتمامه حتى تم له ما أراد بشكل تدريجى يتفق ونواميس الوجود. هذا وقد أعطى الإسلام هؤلاء العبيد حقوقهم الآدمية كاملة فأوصى بإطعامهم وكسوتهم والبر بهم كما زجر عن الاعتداء على حقوقهم عظمت أم صغرت فقال رسول الله ﷺ «من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه [1]» وفى رواية «ومن خصى عبده خصيناه» ولكن الجمهور على أنه لا يقتل السيد بعبده وتأولوا ذلك الحديث. وقد أخذ البحث فى القصاص بين العبيد والأحرار شوطًا كبيراً من الإختلاف بين الفقهاء.

ونختار الرأى الذى قرر أن القصاص واجب بين العبيد والأحرار فإذا قتل مالك عبده قتل به وإذا قتله غيره قتل به، وكذلك إذا قطع طرفًا من أطرافه قطع طرفه وذلك الرأى نظر إلى آدميته ولم ينظر إلى ماليته وقد أيدته النصوص والقياس. فالنصوص لعموم قوله تعالى: ﴿النفس بالنفس والعين بالعين﴾، وقول الرسول ﷺ: «من قتل عبده قتلناه به ومن جدعه جدعناه» وأما القياس فإن المساواة ثابتة بالفطرة وهى أساس القصاص.

● **المسلم والذمى:**

ذهب الإجماع على أن المسلم لا يقاد بالكافر الحربى، وأما الذمى فذهب إليه الجمهور لصدق اسم الكافر عليه، واستدلوا بما روى عن أبى جحفة قال: قلت لعلى هل عندكم من شئ من الوحى ليس فى القرآن؟ قال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن. وما فى هذه الصحيفة.

---

(١) رواه الخمسة وقال الترمذى حسن غريب.

قلت وما فى هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكال الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر [١]»، وقول النبى ﷺ «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم الا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده [٢]».

وقال الإمام الشوكانى: «ويؤيد قول الجمهور قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ ولو كان للكافر أن يقتص من المسلم لكان فى ذلك أعظم سبيل، وقد نفى الله تعالى أن يكون له عليه سبيل نفيًا مؤكدا».

وخالف ذلك الشعبى والنخعى وأبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثورى وابن أبى ليلى ورأوا أنه يقتل المسلم بالذمى واستدلوا بقوله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم. آلا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده» فاستدلوا بقوله ولا ذو عهد فى عهده ووجهه أنه معطوف على قوله مؤمن فيكون التقدير ولا ذو عهد فى عهده بكافر كما فى المعطوف عليه. والمراد بالكافر المذكور فى المعطوف هو الحربى فقط بدليل جعله مقابلاً للمعاهد لأن المعاهد يقتل بمن كان معاهداً مثله من الذميين إجماعًا فيلزم أن يُقَّيد الكافر فى المعطوف عليه بالحربى كما قيد فى المعطوف لأن الصفة بعد متعدد ترجع إلى الجميع اتفاقًا. فيكون التقدير لا يقتل مؤمن بكافر حربى ولا ذو عهد فى عهده بكافر حربى، وهويدل بمفهومه على أن المسلم يُقتل بالكافر الذمى كما احتجوا على ذلك بعموم قوله تعالى: ﴿ النفس بالنفس ﴾ فهى تشمل أى نفس بأى نفس لا سيما وأن نفس الذمى معصومة الدم، ونحن مأمورون بالعدل معهم وبرهم وعدم الاعتداء عليهم، ومن أدلتهم كذلك ما أخرجه البيهقى أن رسول الله ﷺ: قتل مسلمًا بمعاهد، وقال: أنا أكرم من وفى بذمته [٣]» كما استدلوا بأن عليًا أُتى برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة وقامت عليه البينة فأمر بقتله. فجاء أخوه فقال: إنى قد عفوت. قال: فلعلهم هددوك وفرقوك وقرعوك.

---

(١) البخارى (٢) أحمد وأبو داود. (٣) البيهقى وهو مرسل.

قال : لا . ولكن قتله لا يرد أخى، وعرضوا علىّ ورضيت . قال : أنت أعلم من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا [١]» . كما استدلوا بأن عمر بن الخطاب كان يقتص من المسلم إذا آذى ذميًا، وفند الجمهور هذه الاستدلالات [٢] .

والواقع أن الأخذ بالقصاص فى هذه الحالة أوضح وأبين وأعدل وأكثر اتفاقًا مع عدالة الإسلام الذى يعدل مع العدو والولى على سواء، ولأن عدم القصاص يعنى إباحة دم الذمى المعاهد، ولا يكون ثمة فرق بين ذمى يعيش فى ظل المسلمين بعهد الله ورسوله موفيًا بذلك العهد، وحربى يشن الغارات عليهم ويبقى الفتن فيهم [٣] .

## ● ولكم فى القصاص حياة :

وكما اتضح فإن المساواة فى القصاص عقوبة قررها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، كما قررتها السنة النبوية الشريفة وإجماع الأمة، وقد أشارت إلى حكمتها ومغزاها آيتان محكمتان من كتاب الله عز وجل، وهما قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ البقرة : ١٧٩ ] .

وقوله : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [ المائدة : ٣٢ ] فالقصاص لا تعود منفعته على ولى الدم وحده، وإنما تتعداه إلى مصلحة المجتمع كله بل إلى استمرار الحياة واتصالها كما أراد لها الحق تبارك وتعالى فهو ليس للإنتقام وإرواء الأحقاد، ولا للوحشية وإرواء الدماء – كما يفهم البعض – وإنما هو أجّل من ذلك وأعلى . إنه للحياة وفى سبيل استمرارها وبقائها إلى ما شاء الله .

ذلك أن ترك القصاص يفرى الجبلات المتهورة والشريرة والنفوس الحاسدة والحاقدة لتوسيع دائرة عدوانها على الأنفس ومتعلقاتها دون رادع من عقوبة أو

---

( ١ ) الطبرانى ضعيف ( ٢ ) انظر نيل الأوطار جـ ٧

( ٣ ) محمد أبو زهرة – العقوبة فى الإسلام

دين، ولهذا فتشريع الله تعالى للقصاص والحدود بأثرها كان نوعًا من الردع المانع لحدوث مثل هذه الجرائم المنكرة حتى تحيا البشرية حياة ملؤها الأمن والاطمئنان، وحقيقتها الفضيلة والأخلاق، وسياجها العدل والاعتدال، وكان الحق سبحانه وتعالى مشرعه ليُمنَع لا ليُقَع. فإذا وقع كان وقوعه على نفس تستحقه ولا تستحق غيره لأنها نفس شريرة استحلت الاعتداء على نفس بريئة وكما قال رسول الله ﷺ «من لا يرحم لا يرحم [1]» فقتل هذا الظالم الباغي سافك الدماء عمدًا – فى حد ذاته – توسيعًا للحياة وليس تضييقًا لها.

كما أن علم هذه الجبلات أن الجزاء من جنس العمل وأنها ستدفع حياتها ثمنًا لعدوانها يجعلها تتردد ألف مرة قبل الإقدام على أفعالها المنكرة. وربما تراجعت عنها فيكون فى ذلك أيضًا توسيعًا للحياة ومحافظة عليها، ومن ناحية أخرى فإن القتل يحرك فى نفوس أولياء القتيل وأقاربه كل معانى الغيظ والغضب كما يدفعهم دفعًا حثيثًا نحو الانتقام والأخذ بالثأر ليس من القاتل الآثم فحسب وإنما من كل من يستطيعون من أقاربه لتتسع دائرة القتل والاقتتال وإزهاق الأرواح البريئة بغير أدنى جريرة ولا ذنب.

ولهذا عمل الإسلام على تفادى ذلك الشر المحدق بمجتمعه فآثر أن يتحمل الجانى الآثم وحده جريرة ما ارتكبه. من الإثم، وثمن ما جنته يداه من العدوان حقنًا للدماء ومحافظة على الأرواح وتوسيعًا للحياة وشفاءً لغيظ النفوس وإزالة للضغائن ومحوًا للأحقاد حتى يعود الأمن للمجتمع وتعود العلاقات بين الأسر والأفراد من جديد وليستمر التعاون، ويعلو البناء فى أمن واطمئنان.

وفى القصاص حياة أخرى وهى حياة القيم. حيث يبعث الحياة فى قيم المساواة والعدل والحق. فالبشر أمام قانون الله سواء، ولا فرق بين حياة وحياة أو

---

(١) الشيخان.

نفس ونفس. فحياة نفس كحياة كل نفس وموت نفس كموت كل نفس. وهذا يقتضى أن يُأخذ القاتل فى العمد بالقتيل ليتحقق العدل والإنصاف بين الجميع بلا تحيز أو محاباة. إلا إذا تنازل صاحب الحق برضاه واختياره عن حقه طلباً لما عند الله من الأجر والعفو والمغفرة فى الدنيا والآخرة، ولا ريب أن فى ذلك حياة الإيمان ورفعته.

وقد يرى البعض أن الرغبة فى الأخذ بالثأر وعدم الرضى إلا بالقصاص لا يوجد فى كل المجتمعات البشرية. فبين البشر الكثيرين ممن يرضون بعقوبات أخرى أخف وطأة مثل السجن والتعويض وما إلى ذلك، والإجابة على ذلك أن الحق تبارك وتعالى إن شَرَّع لهذه الفئة صاحبة الانفعالات الأهدأ والدوافع الأخف فإنه لن يراعى الفئة الأخرى صاحبة الانفعالات القوية ولكنه حينما يُشرِّع لهذه بما يتوافق مع العدل الصارم، ثم يعطى الأخرى الفرصة فى العفو فإنه يضمن مراعاة كلتا الطبقتين فى آن واحد، حقناً للدماء وشفاءً لغيظ القلوب.

ومن هنا نصل إلى أن الإسلام بقتله لهذه النفس المعتدية قصاصاً قد ضمن الحياة لنفوس كثيرة من أبناء المجتمع، وذلك بكف يد الذين يهمون بالإعتداء على الأنفس البريئة الوادعة. فالقصاص يردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء، وحياة أخرى بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفوا عند حد، وحياة بأمن كل فرد من أفراد المجتمع على نفسه واطمئنانه إلى عدالة القصاص وردعه. فينطلق آمنا مطمئناً يعمل وينتج فإذا الأمة كلها فى حياة.

● **الخلاصة:**

ومن كل ذلك ندرك شيئًا ولو يسيراً من الإعجاز القرآنى فى ضمان حق الحياة البشرية وتأكيدها وحرمة المساس بها أو الاعتداء عليها. كما ندرك الضمانات التى وضعها الله تعالى فى قرآنه لحماية الأرواح وصيانة النفوس سواء

كانت تلك الضمانات فى مجال التربية النفسية والوجدانية للإنسان المعلم على احترام حقوق الإنسان المكرم من المولى عز وجل صغيرها وكبيرها أو فى مجال التوجيهات الخلقية والسلوكية التى تضمن شيوع المحبة والمودة والسلام والأمان والتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع أو فى مجال الأوامر والنواهى التى تكفل الأمن والأمان والسلم والسلام والمراقبة لله رب الأنام، أو فى مجال العقوبة والقصاص الرادع لكل من لا تؤثر فيه هذه الضمانات أو تسول له نفسه الأمارة بالسوء الإعتداء على الحياة أو الأحياء.

**والله من وراء القصد**

**نفوض له الأمر وهو السميع البصير**

**المؤلف**

**بدر محمود الدمهوجى**

**سمادون – أشمون – منوفية**

# أهم المصادر والمراجع


١ – القرآن الكريم.

٢ – تفسير الجامع لأحكام القرآن – لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.

٣ – تفسير القرآن العظيم – للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير.

٤ – فى ظلال القرآن – فضيلة الأستاذ الشيخ سيد قطب رحمه الله.

٥ – تفسير فضيلة الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى رحمه الله.

٦ – تفسير آيات الأحكام لفضيلة الشيخ محمد على الصابونى.

٧ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى – أحمد بن حجر العسقلانى.

٨ – صحيح مسلم بشرح النووى – محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مرى الحزامى الحورانى الشافعى.

٩ – المسند للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

١٠ – كتب السنن الأربعة – الترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داود.

١١ – إعلام الموقعين – للإمام ابن القيم الجوزية.

١٢ – المغنى العلامة – ابن قدامة.

١٣ – نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار – للإمام الشوكانى رحمه الله.

١٤ – فتح القدير – كمال الدين بن همام.

١٥ – الأحكام السلطانية – للقاضى أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى.

١٦ – أصول الفقه لفضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف.

١٧ – الجنايات فى الشريعة الإسلامية – لفضيلة الدكتور / محمد رشدى إسماعيل.

١٨ – نظرة إلى العقوبة فى الإسلام – فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله.

١٩ – العقوبة فى الإسلام – للدكتور البهنسى.

٢٠ – بيان للناس من الأزهر الشريف – ويقع فى جزئين.

٢١ – المذاهب الفقهية فى الجنايات – الدكتور سمير محمد عقبى.

٢٢ – بين الصديق والفاروق – بدر الدمهوجى.

٢٣ – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف – فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى.

٢٤ – دعاه لا قضاه – المستشار حسن الهضيبى رحمه الله.

٢٥ خاتم النبيين – فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله.

٢٦ – القول المبين فى حكم تكفير المؤمنين – فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائرى.

# الفهـــرس

الموضـــــوع الصفحة



**الفصل الرابع : ولكم في القصاص حياة**




**رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٦٣١**